مجلة جامعة البعث

سلسلة العلوم التاريخية والجغرافية والاجتاعية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 46 . العدد 3

1446 هـ - 2024 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب
رئيس جامعة البعث
المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. محمود حديد	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. وليد حماده	**رئيس التحرير**

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (40000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (100000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (6000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
أرض كنعان عشيّة انهيار حضارات البرونز الخروج وحروب الاستيطان بين الموروث الكتابي وعلم الآثار	شعيب محمد الحسن	46-11
الحضارة العربية الإسلامية في ظل النشاط البحري(حالة المغرب الإسلامي إنموذجاً)	علي موسى طالب د. بسام علوش	86-47
المصادر التاريخية والجغرافية والطبيعية للموسوعة العمرية (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) عند العمري (700-749ه/1301-1349م)	د. أمية الغزي	146-87
منهجية الكتابة التاريخية عند ابن العمري (700-749ه/1301-1349م) في الموسوعة العمرية (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)	د. أمية الغزي	190-147

أرض كنعان عشيّة انهيار حضارات البرونز الخروج وحروب الاستيطان بين الموروث الكتابي وعلم الآثار

الباحث: شعيب محمد الحسن – كلية الآداب – جامعة تشرين

ملخص:

بدأ النّقد العلمي لروايات التوراة في وقتٍ لم يكن واضحًا بعد أن التاريخ اليهودي يمكن أن يكون مادة علمية قابلة للبحث أساساً، فقد يبدو لكثير من المؤرخين أن الجزء المهم من التاريخ اليهودي انتهى مع التوراة، ولم يتبقَّ سوى سيرة طويلة من المعاناة والشتات.

ومع ذلك، لا نستطيع أن نبدأ من قصص الآباء موسى ويشوع كنقطة انطلاق للتاريخ العبراني، لسبب بسيط هو أن التاريخ العبراني لم ينفصل بعد عن القراءة الدينية، ومن المؤكد أن الوثائق التي تؤيد تاريخانية قصص الآباء لم يُعثَر عليها، فضلاً عن أن قصصهم مليئة بأشياء لم يكن من الممكن حدوثها، كانهدام أسوار أريحا ووقوف الشمس في كبد السماء وغيرها من سرديّات لا تخلو من المبالغة والخرافة فيما يسمى اصطلاحاً الخروج من مصر واستيطان العبرانيين في أرض كنعان، ويعرض المقال رأي علم الآثار وعلم التاريخ في الموروث الكتابي المستند إلى العهد القديم؛ ويدقق فصلة من سرده الطويل فيما روى عن الدين والتاريخ.

كلمات مفتاحيه: العبرانيون – كنعان – اليهود – العهد القديم – يشوع بن نون– المؤرخون– الاستيطان – أريحا جبعون– اليبوسيون – إسرائيل – مصر– الآشوريون – البابلي.

The land of Canaan on the eve of the collapse of the bronze civilizations
The Exodus and the settlement wars between the biblical heritage and archaeology

summary

Scholarly criticism of the Torah narratives began at a time when it was not yet clear that Jewish history could be a fundamentally researchable scientific subject. It may seem to many historians that the important part of Jewish history ended with the Torah, and all that remained was a long history of suffering and diaspora.

However, we cannot start from the stories of the patriarchs Moses and Joshua as a starting point for Hebrew history, for the simple reason that Hebrew history has not yet been separated from religious reading, and it is certain that documents that support the historicity of the stories of the patriarchs have not been found, in addition to that their stories are full of things that were not It was not possible for it to happen, such as the demolition of the walls of Jericho, the sun standing in the middle of the sky, and other narratives that are not free of exaggeration and myth about what is technically called the Exodus from Egypt and the settlement of the Hebrews in the land of Canaan. The article presents the opinion of archeology and history regarding the biblical heritage based on the Old Testament. A section of his long narrative examines what he narrated about religion and history .

مقدمة:

يُوصفُ التاريخ العبراني بأنه «تاريخ العبيد». هل هذا أصدقُ ما يقال عن جماعة ترى في نفسها شعب الإله المختار؟ وبالتالي هل يمكن أن يكون هناك تاريخ للعبيد ؟

لم تكن اليهودية اسم لشعب بعينه بل إنه اسم الدين: نظام المعتقدات والممارسات والطقوس الشعائرية، لذا يُفترضُ أن تبدأ القصة اليهوديّة من إبراهيم صاحب الوعد الإلهي بامتلاك أرض كنعان، ومن ثم موسى المشرّع الذي تلقّى وصايا الإله يهوه في جبل سيناء، ربما يكون هذا التأسيس المزدوج من قبل إبراهيم و موسى، كشعب وكمعتقد هو المفتاح لاستمرارية اليهود في التاريخ.

ولكن يتوجّب على المؤرخ أن يجد نقطة انطلاق موثّقة في الأدلة غير الكتابية، وأن يعمل من هذا المنطلق على فصل الذاكرة اليهودية عن التاريخ اليهودي.

واستناداً إلى رؤية هيجل للتاريخ فإنه لكل حضارة إسهاماتها في تكوين التاريخ الإنساني، وإذا ما أدّت دورها انهارت حتما، مفسحة المجال للمرحلة التالية، والسؤال هو هل نستطيع أن ندرس التاريخ العبراني من هذا المنظور بصفته حضارة كان لها هويّتها وكيانها و جغرافيّتها الخاصة؟ هل ينطبق هذا على تاريخ العبرانيين كحضارة نشأت في زمن غابر وازدهرت ثمّ بادت؟ مع الأخذ بعين الحسبان الخصوصية في تاريخ اليهود، إذ أنهم على خلاف الحضارات القديمة التي اندثرت ما يزال هناك يهود يعتنقون نفس العقيدة التي كان عليها أسلافهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، وأن دراسة تاريخهم تنطوي على كثير من التعقيدات والتداخلات بين الديني والسياسي، وأن الوظيفة التاريخية لليهودية لم تتوقف بعد.

ربما يكون هذا التطور المستمر لمعنى التاريخ اليهودي هو الإشكال الأصعب في دراسة هذا التاريخ، في وقت لم يطالعنا علم الآثار بنتائج تؤكد رواية العهد القديم، ولم يتخلّص المؤرخون بعد من طغيان الرواية التوراتية، ولا من رؤى الصهيونية الحديثة؛ واللّوم الأكبر يقع على المؤرخين العرب، إذ تمثّلت كتاباتهم عن تاريخ فلسطين بتبني الموروث الكتابي " الإسرائيليّات " الذي يؤكّد روايات التوراة من جهة ويسهم في إسكات التاريخ الفلسطيني من جهة أخرى.

أسباب اختيار الموضوع

– افتقار التاريخ العبراني إلى مصادر موضوعية لأن أغلب المصادر والمراجع التي كتبت في هذا الموضوع كانت تتبنى أيديولوجيا دينيّة ساهَمت في تشويه التاريخ الفلسطيني، وأثّرت سلباً على الحقيقة التاريخية.

– الرغبة في الاطّلاع على نتائج الكشوفات الأثرية في فلسطين، بعيداً عن الرؤى الدينية الضيقة.

إشكاليّة البحث

يتعيّن على الباحث في التاريخ تحديد إشكالياته، وتفنيد التساؤلات التي تستوقفه، كخطوة أولى في كتابة بحث علمي، ومن أبرز هذه الإشكاليات:

- ماهي حقيقة الغزو العبراني لأرض كنعان، هل حدث هذا حقاً؟
- إلى أي مدى ساهم الأثريون التوراتيون في اختلاق تاريخ مزيف لفلسطين؟

- وهل استطاع علم الآثار الحديث أن يصحّح مسار عملية إعادة البناء التاريخي؟
- ماذا تخبرنا المصادر المسمارية عن تاريخ العبرانيين بشكل عام؟
- متى تتخلّص الكتابة التاريخية من طغيان القصص الديني والخيال التاريخي؟

منهج البحث

أولا- المنهج الوصفي استخدم هذا المنهج بشكل خاص عند عرض الأخبار المستمدة من المصادر الدينية التي تتضمن أخبار الملوك والمعارك وغيرها من الوقائع.

ثانيا- المنهج التحليلي يعتمد على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات قيد البحث، ودراستها بشكل تفصيلي، وعلى ضوء هذه الدراسة يتمكن الباحث من تعليل الأحداث والوصول إلى تعميمات تشكُل وجهة نظره في موضوع البحث،

ثالثا- المنهج المقارن وهو المنهج الأهم في دراسة التاريخ العبراني لما فيه من تناقضات وإشكاليات، ومقارنتها ببعضها البعض كالمقارنة بين الروايات التوراتية ونتائج الكشوف الأثرية.

صعوبات البحث

- يواجه الباحث في تاريخ العبرانيين مشكلة مهمّة وهي البعد عن مسرح الأحداث المفترضة، وعدم القدرة على معاينة الآثار أو اللّقى المعروضة في المتاحف وذلك بسبب الوضع السياسي في فلسطين.

- اعتمدت الدراسات العربية منها والأجنبية بغالبها على المصادر الدينية وفي مقدّمتها التوراة، فيجد الباحث نفسه أمام مادة خبرية ضخمة تتشابه بشكل يصعّب عليه تنويع موارده.

أهم مصادر البحث و مراجعه:

أولاً– العهد القديم" التوراة" وقد تم تأليف أسفار العهد القديم على مراحل بدءاً من القرن الثامن قبل الميلاد في مملكة يهوذا و في فترة السبي البابلي، لقد تمّ تدوين التوراة بشكل يتلاءم مع المعطيات السياسية في مرحلة التدوين، ولم يغفل محررو التوراة عن قصص الوحي والمعجزات، وبذلك أصبحت قراءة التاريخ من المصدر التوراتي جزءاً لا يتجزأ من القراءة الدينية.

ثانياً: النصوص المسمارية تنوّعت النصوص من حيث أماكن وجودها فمنها ما عُثر عليه مصنّف في القصور الملكية كالرّقم الطينيّة في إيبلا وماري، ومنها على شكل نقوش عامة أو على التماثيل الملكية، أو مرافقة للأعمال الفنية التصويرية كتعليقات على المشاهد المنحوتة مثل الجداريّات، إذ تناولت بمعظمها أعمال الملوك العسكرية كما تناولت إنجازاتهم العمرانية، وكانت تكتب هذه النقوش بموافقة السلطة الملكية وإشرافها مباشرة.

ثالثاً: المراجع العربية منها ما تضّن أخباراً نمطيّة تحاكي وجهة النظر التوراتيّة، ومنها ما ألقى الضوء على نتائج الكشوفات الأثرية وناقش وجهات النظر التي تميل إلى النقد والكتابة العلميّة الصحيحة.

أولاً: كنعان والعبرانيّون أساطير تحولت إلى تاريخ

الدلالات بين المقدس الثابت ولغة الإنشاء

يستخدم المؤرخون التوراتيّون مصطلح العبرانيون للإشارة إلى أحفاد آباء العهد القديم أي ابراهيم واسحاق و**يعقوب**، ويطلق على يعقوب أيضاً اسم اسرائيل[1]؛ وكان يشار إلى هؤلاء الأشخاص باسم الإسرائيليين حتى عودتهم من المنفى البابلي في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، ومنذ ذلك الوقت أصبحوا معروفين باسم اليهود، لكن المصطلح «العبرانيون» يظهر دائما في العهد القديم كاسم أطلقته الشعوب الأخرى على بني اسرائيل وليس كاسم يستخدمونه هم أنفسهم، وفي هذا الصدد فإن أصول المصطلح نفسه غير مؤكدة.

وفقًا للتقليد التوراتي فإن العبرانيين شعب ينحدر من سام أحد أبناء نوح، من خلال عابر الجد الذي أخذ العبرانيون اسمهم منه،[2] وتم استخدام المصطلح لأول مرة في التوراة للإشارة إلى إبراهيم[3] وتتالى استخدامه في سفر التكوين ضمن سرديّة يوسف[4] وأحفاد إبراهيم الآخرين كإسحاق ويعقوب[5]، واقترح البعض أن المصطلح "العبراني" يأتي من كلمة "عبر" إلى الجانب الآخر أو "عبور" وتلمح إلى ترك إبراهيم لأور وعبور نهر الفرات.[6]

---

[1] **سفر التكوين:** 32: 28

[2] **سفر التكوين:** 22: 7

[3] **سفر التكوين:** 13: 14.

[4] **سفر التكوين:** 14:17- 39.

[5] **سفر التكوين:** 15:40 ؛ 43

[6] **Speiser, E. A,** 1964- Genesis The Anchor Bible Garden City. Doubleday, New York, p. 105.

وهناك من يرى أن الاصطلاح ذو مغزى طبقي، ويستند هذا الرأي إلى ما ورد في سفر الخروج(21: 2) بشأن الاصطلاح الاجتماعي «عبدٌ عبري» وبعض الإشارات الأخرى مثل أبرام العبري في سفر التكوين الذي كان غريباً في أرض كنعان، والمكانة الاجتماعية المتدنية لبني إسرائيل في مصر، ولهذا فإن بني إسرائيل قد التصقت بهم صفة العبري كجماعة كانت في نظر الشعوب الحضارية بمثابة شعوب "عبرية" أي أدنى منهم حضارياً[7]

أما بالنسبة إلى الشواهد التاريخية والأثرية، فقد حاول بعض المختصين بالدراسات المسمارية أن يربط بين كلمة خبيرو أو عابيرو وكلمة **עברים** التوراتية التي تعني عبراني بالجذر «عبر» أو بالمصدر المشترك والذي يعني مرّ وعبر، وكان الهدف من ذلك كما هو واضح محاولة لاختراع أصول في فلسطين لجماعات العبرانيين «الذين استولوا على أرض فلسطين حسب رواية سفر يشّوع»[8] وتقديم شاهد رافدي ومصري على وجود ما للعبرانيين وتجذّره في تاريخ بلاد الرافدين وبلاد النيل.[9]

الوعد الأول، النزوح والحرب

مما لاشك فيه أن الأيام الأولى لأي شعب تكون دائماً محاطة بالغموض حيث لا تكون هناك إلا بعض الذكريات الباهتة ذات القيمة التاريخية الضعيفة

---

[7] **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم**، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد الله الشلّي: ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001. ص 17.

[8] **السواح، فراس**، آرام دمشق إسرائيل، ط 1، دار علاء الدين، دمشق، 1995، ص 83 .

[9] **سليمان، عامر**، المعجم الأكادي، ط 1،ج1، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1999، ص 202.

ولا يختلف تاريخ العبرانيين عن غيرهم من جهة الطابع الأسطوري لقصص النشوء، وبالتالي فإنه ثمة سؤال يفرض نفسه فيما يتصل بمدى موثوقية المادة التاريخية الواردة في العهد القديم بمعنى هل المعلومات الواردة عن قصص الآباء في سفر التكوين وعن هجرتهم لمصر وسنوات العبودية فيها ثم خروجهم بعد أربعة قرون بقيادة موسى، هي معلومات تعكس أحداثاً تاريخية حقيقية؟[10]

أعطى سفر التكوين لأخبار يوسف بن يعقوب وقتاً أطول من أي شخصية أخرى من الشخصيات الرئيسية فيما يسمى بالآباء: آدم ونوح و إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لكن هذا البروز المثير لشخصية يوسف في سفر التكوين سينتهي بالإهمال الظاهر في بقية التوراة، وبالمقابل فإن قصة يوسف قد ساهمت في صياغة التاريخ التعويضي، لملء الفراغ السردي بين عهد الآباء الذين عاشوا في كنعان وجيل موسى والجماعة التي خرجت معه من مصر.

تروي التوراة قصة نزول يوسف بن يعقوب في مصر، مع التجار الإسماعيليين بعدما أنقذوه من غدر إخوته، لكن مستقبل هذا الفتى في مصر كان أكبر بكثير من مستقبلٍ ينتظره عبدٌ تم انتشاله من بئر في البرية، فسرعان ما تبوأ يوسف بسبب مواهبه الفريدة مكانة عليا في مصر ونال حظوة عند فرعونها[11] الذي لم تذكر التوراة اسمه، ولم يمضِ وقت طويل حتى احتاج أبناء يعقوب الآخرين معونة أخيهم بعدما عمَّ القحط بلاد كنعان، فلجأوا لمصر وكان يوسف وقتها واحداً من خدم الفرعون المقدمين، فتم لقاء الإخوة في مشهد بكائي

[10] **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم**، العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة ، مرجع سابق، ص 176.

[11] **سفر التكوين**: 39: 3.

ليجتمع بعدها شمل يعقوب« إسرائيل» مع أبنائه في مصر وتبدأ فترة الإقامة في مصر.[12]

يقصد بفترة الإقامة في مصر بأنها الفترة الممتدة من دخول يعقوب وأبنائه إلى مصر حتى خروجهم بقيادة موسى بن عمرام، إلّا أن هذه الفترة تعد من أكثر فترات تاريخهم غموضاً، فالإشارة الصريحة الوحيدة لهذه الفترة هي ما ورد في سفر الخروج[13] :12: 40-41. ، ولتأكيد هذه المدة نسبت نبوءة لإبراهيم قبل ذلك حيث يقول الرب:

" **اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم، فيذلونهم أربعمائة سنة، ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة.**"[14]

لم تذكر التوراة السبب الذي أدّى إلى تغيّر المصريين في معاملة أبناء يعقوب، وإنّما تكتفي بذكر أنهم كانوا عبيداً يُسخَّرون في بناء المدن الملكية رمسيس و فيثوم ثم تمردوا بزعامة نبيّهم موسى الذي تحدى الفرعون وأخرج العبرانيين من مصر، ودونت أخبار هذه الوقائع في ملحمة أدبية هي **الخروج.**

يبدأ تاريخ بني إسرائيل حسب الرواية التوراتية كشعب بالخروج من مصر[15] إن هذا الحادث يفترض أنه حصل في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر قبل

---

[12] **سفر التكوين**: 3: 45.

[13] **محمد، محمد قاسم**، التناقض في تواريخ وأحداث التوراة " من آدم حتى سبي بابل"، جامعة قطر، الدوحة 1992، ص 213.

[14] **سفر التكوين** :15: 13-16.

الميلاد، وترى التوراة في الخروج بداية التاريخ الحقيقي للإسرائيليين والذي يحدد بالخروج من مصر مصنّفين هذه الهجرة كواحدة من الثورات التي وقعت عبر عصور العبودية الطويلة، فقد كان الهدف منها هو الخلاص من العبودية المباشرة بالهروب إلى خارج حدود الدولة المصرية وخارج دائرة هيمنة النظام المصري[16]

وتعيد المصادر الكتابية سبب اضطهاد المصريين للعبرانيين إلى تخوف المصريين من كثرتهم وتنامي عددهم[17] "**وأما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا جدا وامتلأت الأرض منهم، ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه" هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا ينمو فيكونوا إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا**"[18]

وتستطرد التوراة ولما ولد موسى وضعته أمه يوكابد بعيدا عن العيون لعدة أشهر وخافت افتضاح أمرها فألهمها الإله يهوه إلى وضعه في صندوق ثم ألقت به في نهر النيل، فانتشلته ابنة فرعون مصر وقيل زوجة الفرعون، فطالبت

---

[15] **الخروج:** هي قصة خروج اليهود بقيادة موسى بعد اضطهاد فرعون مصر لهم، وقد وردت هذه القصة في التوراة في سفر أخذ اسم سفر الخروج "أنا هو الرب إلهك الّذي أخرجك من مصر". تكشف لنا هذه الآية معنى هذا السفر ومحتواه: الله حرر شعبه وأخرجه من الضيق والعبودية. ينظر: الخروج: 20: 2.

[16] **باقر، طه،** مقدمة في تاريخ الحضارات، ط 2، ج 2، شركة الطباعة والتجارة المحدود، بغداد 1956، ص 107.

[17] **عرابي،** رجا عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ط 1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2000، ص 122.

[18] **سفر الخروج 1:** 8-10.

امـرأة الفرعـون منـه أن يبقيـه فيتخـذاه ولـدا بعـدما حرمـا مـن الأولاد، وبـذلك ترعـرع موسى في بلاط الملك عدو أبناء بني إسرائيل[19].

وحـدث أنّ موسـى قتـل رجـلاً مصـريّاً دفاعـا عـن أخيـه العبرانـي الـذي تعـرض للإهانـة وفـرّ بعـدها إلـى صـحراء مـدين خوفـا مـن غضـب الفرعـون وانتقامـه، وهنـاك تـزوج مـن ابنـة كـاهن مـدين[20] وظـل يرعـى غـنم أبيهـا لمـدة أربـع سـنين ثـم أمـره يهـوه بـالعودة إلـى مصـر وإخـراج بنـي إسـرائيل منهـا، ونظـرا لأنـه كـان ثقيـل اللسـان طلـب مـن الإلـه يهـوه أن يأخـذ معـه أخـاه هـارون ليـتكلم نيابـة عنـه وهـاجر موسـى وهـارون ببني إسرائيل متجهين شرقا إلى أرض كنعان.[21]

تتنـاول التـوراة قصّـة الخـروج بوصـفٍ أسـطوري إذ تـم تصـوير المشـهد كحـدث هـادرٍ امـتلأت معـه أرض مصـر بالضـجيج والأعاصـير، وانتشـر الخـراب فـي كـل صِقع، وسالت دماء المصريين حتى اصطبغ النيل بلون الدم.[22]

كـل ذلـك بسـبب غضـب **الإلــه يهــوه** علـى المصـريين ونُصـرةً لشـعبه المسـتعبد، إلا أن يهـوه عاقـب العبـرانيّين أيضـا لتـذمرهم الـدائم وارتـدادهم فحكـم علـيهم بالتيـه في الأرض وأن يعيشوا مشردين محرومين من الأرض الموعودة.[23]

---

[19] **طبـارة، عبـد الفتـاح عفيـف**، اليهـود فـي القـرآن، ط 4، دار العلـم للملايـين، بيـروت 1974، ص 195.

[20] **مــدين** : أو مـدين أرض تقـع شـرقي خلـيج العقبـة تعـرف الآن بـأرض مـديان. أنظـر: **فضــل حســن عبــاس**: القصـص القرآنـي، (د. ط)، شـركة الشـهاب للنشـر والتوزيـع، الجزائـر 1984، ص 221.

[21] **طعيمة، صابر**، التاريخ اليهودي العام، ط 3، ج1، دار الجيل، بيروت 1999 م، ص 42.

[22] **غلايكوفسـكي، إيمانويـل**، عصـور فـي فوضـى مـن الخـروج إلـى الملـك اخنـاتون، تـر: رفعـت السيد، ط 1، دار سينا للنشر، القاهرة 1995، ص 42 .

ثانياً: سفر الخروج ووثائق الشرق القديم

شَغلت مسألة تاريخانيّة قصة الخروج التوراتية، والتّيه في سيناء حيّزا مهماً من أعمال الأكاديميين والمؤرخين في العصر الحديث، فإلى جانب عمليّات التنقيب الأثري التي شملت كامل منطقة شرقي المتوسط، ظهرت دراسات نظريّة تعتمد على المقاربات العلمية والمنهجية التاريخية الحديثة لتؤكد أن ما جاء في التوراة عن قصة الخروج وعبودية العبرانيّين في مصر ما هو إلا من قبيل الأدب الخيالي، ويؤكد على ذلك المؤرخ سارنا بقولة "تقف الرواية التوراتية وحيدة دونما سند من أي مصدر خارجي وهي مليئة بالتعقيدات التي لا تساعدنا على وضع أحداث الخروج ضمن إطار تاريخي مقبول"[24].

أما بشأن ورود أخبار الهجرة الجماعية من مصر إلى كنعان في المصادر المسمارية، فإنه لم يرد فيها ذكر لهذه الهجرة، فالوثائق المسمارية الآشورية لم تذكر اليهود والإسرائيليين قبل عهد شلمنصر الثالث(859- 824 ق. م) فيما يسمّى بيهوذا والسامرة[25]، كما أنه لم يرد في الوثائق المصرية القديمة أي ذكر لجماعة عاشت في مصر وتمردت على الفرعون بالهروب كما جاء الوصف في التوراة، إذاً نحن نفتقد إلى المصادر الخارجية التي تحكي عن تجربة الإسرائيليين

---

[23] **الطبري، أبو جعفر ابن جرير**، تاريخ الملوك والأمم، ج 1، المكتبة التوفيقية، القاهرة 1960، ص 242.

[24] **Sarna. N**. M, 1988- Israel in Egypt, prentice Hall. New jersey, p 51.

[25] **عادل، إبراهيم، ابتهال**، اليهود في المصادر المسمارية، 1000-395 ق.م، منشورات علاء الدين، ط1، دمشق 2014، ص 111.

في مصر أو تلمح إليها والشواهد الموضوعية على تاريخية القصة التوراتية مفقودة تماماً بما في ذلك نتائج التنقيب الأثري.[26]

مقاربة نصية تاريخية

بعد قرن من عمل البعثات الأثرية في المنطقة لاكتشاف دلائل مادية تؤكد رواية الخروج، يقول علماء الآثار إنه لا يوجد دليل قاطع على أن الإسرائيليين كانوا في مصر على الإطلاق، أو أنهم استعبدوا، أو تجولوا في برية سيناء لمدة 40 عامًا أو احتلوا أرض كنعان تحت قيادة يشّوع، وفي هذا السياق يقول ويليام ديفر، أستاذ علم الآثار والأنثروبولوجيا في الشرق الأدنى بجامعة أريزونا وأحد علماء الآثار البارزين في أمريكا: "لقد عرف العلماء هذه الأشياء لفترة طويلة ، لكننا نقلنا الأخبار بلطف شديد".[27]

إن أول ما يلفت النظر في شخصية موسى هي اسمه، وهو يكتب في العبرية **משה** ولنا أن نتسائل من أين أتى هذا الاسم؟ وكما هو معروف فإن قصة الاسم ترد في الفصل الثاني من سفر الخروج، حين تعثر أميرة مصرية على طفل يبكي وقد وضع في سلّة قصب في مياه النيل فأشفقت عليه والتقطته وتقول القصة إن الأميرة التي أنقذت الطفل من ماء النيل أعطته اسمه" لأني انتشلته من الماء" يصير اسمه موشيه بمعنى لقيط الماء وهذا هو التفسير اللغوي للاسم.[28]

---

[26] **السوّاح، فراس، آرام دمشق وإسرائيل، منشورات علاء الدين، دمشق 1995، ص 78.**

[27] **Dever. W. G,** 2017- Beyond the Texts, An Archaeological Portrait of Ancient Israel and Judah. SBL Press, Atlanta, P 205.

[28] **الخروج:** 2: 10.

يرى سيغموند فرويد أن تفسير التوراة للاسم هو تفسير شعبي لغوي، ولكن صيغة اسم الفاعل من الاسم موشيه (لا يعني على الأكثر إلا الذي يَلتقِط) لا تتفق مع التفسير، ويمكن تأييد هذا الرأي بحجتين : الأولى بأنه من السخف أن ننسب إلى أميرة مصرية معرفة اللغة العبرية والثانية أنه في الغالب أن الماء الذي انتشل منه الطفل لم يكن هو ماء النيل[29]

ومن ناحية أخرى يقول بريستد إن اسم موسى ليس إلا الكلمة المصرية Mose والتي تعني طفلاً، وهي اختصار للاسم المكوّن من شقين مثل <أمون موسى> أي طفل أمون أو بتاح موسى وهذه الأشكال بدورها هي اختصارات للشكل الكامل الذي يعني أن " أمون قد أنجب طفلا" والاسم المختصر موسى صار في وقت مبكر شكلا مريحا للاسم المركب الكامل. [30]

ويسرد بريستد قائمة أسماء الملوك المصريين الذين تتشابه أسماؤهم في مدلولاتها الدينية مثل "اح موسى"(أحمس) و"توت– موسى"(تحتمس) ورع موسى(رعمسيس) ومن الطبيعي أن يستنتج الباحث من هذه القراءة أن من يحمل اسما مصريا كان مصريا هو نفسه.

إن سفر الخروج يتضمن أسماء أماكن لم تعرف قبل القرن السابع قبل الميلاد أي زمن مملكة يهوذا وهو الزمن الذي دونت فيه الأسفار الخمسة التي تنسب إلى موسى الذي يفترض أنه عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد إذا

[29] **فرويد سيغموند**، النبي موسى ورسالة التوحيد، تر: عبد المنعم الحفيني، ط 1، دار الرشاد، القاهرة 1991، ص 27.

[30] **بريستد، جيمس هنري**، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996، ص 146.

صحت رواية التوراة وهناك الكثير من الدلائل في سفري العدد والتثنية على أن أسماء الأماكن المذكورة خلال مسيرة النزوح تعكس بإشاراتها السياسية والجغرافية قضايا ومشاكل مملكة يهوذا في القرن السابع قبل الميلاد.

إن الموقع الذي يحمل اسم فيثوم Pithom مذكور في نص قديم يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد، إلا أنّ المدينة (فيثوم) المشهورة والأكثر بروزاً بنيت في القرن السابع ق م. لقد قادت النقوش التي وجدت في تل مسخوطة في الدلتا الشرقية، علماء الآثار إلى مطابقة هذا الموقع مع فيثوم التي وجدت في وقت تال.

كشفت التنقيبات الأثرية هناك أنه باستثناء فترة استيطان قصيرة حدثت في العصر البرونزي المتوسط لم تصبح المدينة مأهولة بشكل كامل بالسكان إلا في وقت السلالة السادسة والعشرين[31]؛ وعلى المنوال نفسه اسم مجدل (الذي ورد في سفر الخروج 2/14) هو عنوان مشترك لحصن كان قائماً في عهد المملكة المصرية الجديدة، لكنّه في الوقت نفسه اسم مهم جدا ومعروف في الدلتا الشرقية في القرن السابع قبل الميلاد، والاسم جاسان الذي ذُكر كاسم للمنطقة التي استقر فيها الإسرائيليون في الدلتا الشرقية (التكوين 45 /10) ليس اسماً مصرياً، بل اسم عربي. وطبقاً لريدفورد فإن العرب القيداريين توسّعوا في الدلتا

[31] **ريدفورد، دونالد**، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للنشر، القاهرة 2006، ص 170.

وأصبحوا عاملاً مهيمناً في الدلتا والاسم جاسان مشتق من جيسيم وهو اسم الأسرة الملكية القيدارية[32].

وبالعودة إلى الرواية التوراتية نجد أن موسى قد سن شرائعاً لشعبه ما كانت لتسنّ إلا لقوم ضربوا سهماً في الحضارة والمدنية، وذلك على حين أنهم كانوا ما يزالون يضربون في تلك الفيافي المقفرة، وهو ما يقطع بأن القوانين قد سنّت في زمن مملكة يهوذا.[33]

من القوانين مثلا فريضة الكاهن التي تؤدّى عند إجراء التعداد العام، إذ أوجب عليهم أن يدفعوها إليه مضروبة في سكة القدس[34]، والمعروف أن القدس هي أورشليم اليبوسية ولاحقاً عاصمة مملكة يهوذا في الحقبتين الآشورية والبابلية؛ ومن القوانين أيضاً أنه حدد لباس الكهنة من الكتان، وأن يتخذوا لأنفسهم أمتعة وحلياً من الذهب والفضة مرصّعةً بالجوهر والأحجار الكريمة إن حديثاً عن أشياء كالذهب والكتان والجوهر لا يمكن لأنّ يحدث لقوم تائهين لم يجدوا غير المنّ طعاما[35].

---

[32] **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تر: سعد رستم، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2006، ص 102.

[33] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2007، ص 89.

[34] **خروج:** 30: 12-13.

[35] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ص 90.

ثالثاً: ماذا قال علم الآثار عن سفر الخروج

لقد فشلت حتى الآن كل الجهود التي بذلت من أجل إثبات تاريخانية أحداث قصة الخروج، فالمصادر المصرية لا تذكر شيئا عن وجود الإسرائيليين في مصر ولا عن خروجهم منها سواء بالطريقة الموصوفة بالتوراة أو بطريقة أو بأخرى[36]

التفت المؤرخون إلى النصوص المصرية القديمة وخاصة بعد اكتشاف نقش مرنبتاح الموجود في متحف القاهرة باسم «**نقش إسرائيل**» بسبب ورود كلمة إسرائيل أو يسرائيل في النص الذي يعدد فيه الفرعون المصري أسماء الأقوام التي قهرها في كنعان حيث يرد فيه اسم إسرائيل لأول مرة في التاريخ،[37] ولكن هل يقصد بإسرائيل هنا القبائل الاسرائيلية كما ترد في العهد القديم؟ أم جماعة أقدم كانت تسمى إسرائيل، ثم خلعت هذا الاسم لمناسبة تاريخية مجهولة على إسرائيل التي نعرفها؟

إن ما ورد في مسلّة مرنبتاح هو ذكر اسم إسرائيل مسبوقة بعلامة دالّة على الأقوام أي أن المقصود من الكلمة هو "بنو اسرائيل" أو قوم إسرائيل علماً بان العلامة الدالة على الأقوام غالباً ما تشير إلى البدو المتنقلين وبذلك فإن الكلمة لا تشير إلى وجود كيان سياسي أو مكان بهذا الاسم، و يُلاحَظُ بأن جميع الوثائق تنفي نفيا قاطعا وجود كيان اثني أسمه إسرائيل، كما أن المعلومات الأثرية حول فترة الانتقال بين العصر البرونزي المتأخر وأوائل عصر الحديد الأول بحدود 1200 ق.م تمدّنا بمعارف قيمة حول الديمغرافية(السكان)

[36] **السواح فراس،** آرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتأريخ التوراتي، ص 72.

[37] **Albright. W. F,** 1968- Yahweh and the Gods of cannan. The Athlone Press, London., pp. 159-164.

والمستوطنات والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، وهذه المعلومات لا تثبت وجود كيان يدعى «إسرائيل» وعلى الرغم من ذلك فقد كتب عنها الكثير واتخذت أساسا لوجود إسرائيل منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد[38].

وبصرف النظر عن الإشارة الغامضة إلى إسرائيل في نص مرنبتاح والتي يجمع المؤرخون على عدم صلتها بإسرائيل التوراتية، فإن النصوص المصرية عبر التاريخ لم تعرض لذكر إسرائيل في أية صورة أو أية صيغة[39].

وفي هذا السياق يشير فنكلشتاين إلى أن الحدود بين كنعان ومصر كانت مراقبة عن كثب. إذا عبرت جماعة عظيمة من الإسرائيليين الفارّين من خلال تحصينات حدود النظام الفرعوني تلك، فلا بدّ أن يكون هناك توثيق وتسجيل لمثل هذا الحدث الخطير، ولكن ليس هناك في أي من المصادر المصرية الوفيرة التي تصف زمن المملكة الجديدة عموما أو القرن الثالث عشر ق م بشكل خاص أي إشارة إلى الإسرائيليين، وليس حتى مجرد كلمة واحدة حول الإسرائيليين الأوائل في مصر: لا في النقوش التذكارية على جدران المعابد ولافي نقوش القبور، ولافي أوراق البردي. إسرائيل غائبة سواء كخصم محتمل لمصر، أو كصديق، أو جماعة مستعبدة....وببساطة لا يوجد هناك أي اكتشافات في مصر يمكن ربطها بفكرة مجموعة عرقيّة أجنبية متميّزة تعيش في

[38] **السواح، فراس،** آرام دمشق وإسرائيل، ص 73.

[39] **عادل، إبراهيم، ابتهال،** اليهود في المصادر المسمارية، ص 65.

منطقة متميّزة من الدلتا الشرقية، كما يفهم ضمنيّا من القصة التوراتية التي تتكلم عن بني اسرائيل، الذين يعيشون معاً في أرض جاسان[40].

من المسلّم به أن التنقيبات الأثرية أضافت الكثير من الإرباكات المعقّدة لقصّة الخروج الموسوي فموميـاء مرنبتاح التي عُثِر عليها مدفونة في مقبرة أمنحتب الثاني في وادي الملوك بالأقصُر،[41] كُتب بجانبها دعاء الشكر للإله أمون على النجاح في تدمير أشكلون وجازر (والتي تشير التوراة أن الإسرائيليين دمّروها). واستناداً إلى الشروحات الموجودة، فإن عبور البحر الأحمر كان خطّة عسكرية مصريّة هدفها السيطرة على أرض كنعان من موجة العصيان.[42]

وقد زاد التأكيد حين تمّ العثور أثناء التنقيبات على مِزوَلة – ساعة شمسيّة – عُثر عليها في جازر وتحمل اسم مرنبتاح. كما يضيف سيتي الأول(1307–1291) في إحدى وثائقه التي عُثر عليها في بيسان ويذكر فيها كيف أنه قدّم العون إلى ملك بيسان للقضاء على المناوئين لفرعون. هذه الأحداث وغيرها تشير إلى سيطرة الفراعنة على بلاد الشام ومنها فلسطين قبل تاريخ الخروج وفي أثنائه وبعده إن حصل أصلاً، ومن الدلائل التي تؤكد السيطرة الفرعونية على

---

[40] **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص 94.

[41] **أمنحتب الثاني:** هو الملك السابع في الأسرة الثامنة عشر، وهو ابن الملك تحتمس الثالث، شارك والده في الحكم حتى وفاته، وقاد في العام السابع من حكمه حملة إلى فلسطين بدأها ببلاد رتنو فأخضع أمراءها، ويعتقد أنه حكم في الفترة من 1427 إلى 1401. ينظر: **حسن، سليم**، موسوعة مصر القديمة، ج 4، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية، القاهرة 2001، ص 643.

[42] **فنكلشتاين**، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، ص 95.

جنوب سورية المسلّة التي عُثر عليها في بيسان[43] أيضاً وتحمل اسم رعمسيس الثاني(1290– 1244 ق م)، كما أن رعمسيس الثالث فرض السيطرة على فلسطين وأقام نصباً في بيسان[44].

فالسيطرة المصرية على جنوبي بلاد الشام كانت مطلقة تؤكدها الوثائق المصرية والبابلية والآشورية وآثار التنقيب في فلسطين، فكيف تمكن الموسويون من الفرار من وجه الفرعون المصري ولم تطلهم يده في فلسطين وهي من جملة أملاكه؟ وفي هذا الصدد يقول جورج إرنست رايت" هناك استحالة أن تتفق التنقيبات الأثرية مع أطروحات التوراة وخاصة قصة الخروج، بل إن الدخول فيها محظور بالإطلاق[45].

رابعاً: حرب خاطفة مهّدَت لعصر الحديد في كنعان

يقدم لنا العهد القديم تاريخاً يبدو للوهلة الأولى مترابطا في طبيعته السردية ابتداءً من سيرة موسى وقومه الخارجين من مصر هرباً باتجاه الأرض الموعودة، وصولاً لعهد يشّوع بن نون كخلفٍ لموسى في قيادة بني إسرائيل لتنفيذ المهمّة الربانية الّتي تتمثل باستكمال ملحمة التحرر كما صوّرها محررو التوراة وهي غزو أرض كنعان.

---

[43] **بيسان:** مدينة عربية من أقدم مدن فلسطين، نشأت فوق أقدام الحافة الغربية لغور الأردن، تشرف المدينة على ممر وادي جالوه إحدى بوابات سهل مرج ابن عامر، وتشرف على الأجزاء الشمالية لوادي الأردن، وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي في 12/5/ 1948 م. ينظر: الموسوعة الفلسطينية، مج 1، ص 484.

[44] **السعد جودت**، أوهام التاريخ اليهودي، ط 2، منشورات الأهلية، عمّان 1998، ص 57–60.

[45] **Wright, G. E**, 1960- The Biblical Archaeologist, Near Eastern Archaeology. The Westminster Press Magazine, Philadelphia, p 34-35.

إذا مادنا وطالعنا الأعمال النظرية للمؤرخين التوراتيين، فإننا نجدهم يستسلمون لطغيان الموقف النصّي الذي يغلب عليه التأييد الأعمى للقَصَص الدّيني، لذا سيناقش المقال هذه الفصلة بسرد رواية الغزو كإحدى الفرضيات الأكثر شيوعا عن أصول العبرانيين في أرض كنعان، ثم تفكيكها ونقدها فيما بعد، علماً أن قصة الغزو لم ترد إلا في التوراة وتحديدا في سفر يشوع، وبالتالي فإن جميع الكتابات التاريخية التي تناولت قصص الغزو العبراني لأرض كنعان اعتمدت على سفر يشّوع بشكل رئيسي.

هل تجاوزت غزوات يشّوع بن نون حدود التوراة؟

نُشرت دراسة في ملحق صحيفة هاآرتس سنة 1995، بقلم جرشون جليل قال فيها:" تنقلنا قضية احتلال أرض كنعان، واستيطان أسباط إسرائيل فيها من مرحلة ما قبل التاريخ القديم إلى مرحلة بداية التاريخ والرواية الرسميّة في العهد القديم"[46]، لقد خيّم هذا الخطاب على معظم الدراسات النظرية الحديثة في بداية القرن العشرين، فالرؤى الإسرائيلية والغربية الحديثة متطابقة بمعظمها مع الرواية الدينية فيما يخصّ أصول العبرانيين في فلسطين، وبناءً على هذه الرؤى لابدّ أن تستوقفنا تقييدات مهمة:

<u>أولاً</u> من هو يشّوع بن نون القائد العسكري لطلائع العبرانيين الذي كُتب السفر التوراتي باسمه؟

<u>ثانياً</u> متى حدث هذا الغزو الكبير لأرض كنعان وكيف تمّ تأريخه؟

[46] **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية، ص 103. ينظر أيضا: **جليل، جرشون**، سفاريم، صحيفة هاآرتس، العدد 17، تل أبيب 6/5 1996، ص 5

لم تذكر التوراة نسب يشوع، وتبدأ سيرته في التوراة بشكل مفاجئ بعد موت موسى:" **قال الربّ ليشّوع بن نون خادم موسى: مات عبدي موسى فقم الآن واعبر الأردن أنت و جميع بني اسرائيل إلى الأرض التي أعطيتها لهم. كلّ مكان تدوسه أقدامكم أعطيه لكم، كما قلت لموسى. تمتدّ حدودكم عبر جميع أراضي الحثّيين من البريّة جنوباً إلى جبال لبنان شمالاً، ومن نهر الفرات الكبير شرقاً إلى البحر**"[47]

لقد صوّر التوراة خطاب الإله يهوه ليشوع كتوكيل باستكمال المهمّة الربّانية بصفتها استمراراً لحركة التحرر التي قادها موسى في مصر من جهة، وتجديداً لعهد الرب مع بني إسرائيل بامتلاك أرض كنعان من جهة أخرى، ويضع المؤرخون التوراتيّون تاريخاً تقريبياً لهذا الغزو بحدود 1200 ق. م.[48]

وتعرُض التوراة أسماء سبعة شعوب كانت تقيم في أرض كنعان في ذلك الوقت وهم الحيثيون والأموريون[49] والفريزيون[50] والحوريون واليبوسيون[51]

---

[47] **سفر يشّوع: 1 : 2 –5.**

[48] **خان، ظفر الإسلام**، تاريخ فلسطين القديم (1220 ق م – 1359 م) منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 3، دار النفائس، بيروت 1981، ص 34.

[49] **الأموريون:** تذكر الكتابات المسمارية الأكادية تسمية أمورّو/A–mur–ru كمقابل للتسمية السومرية مارتو/Mar–tu والتي تشير إلى المناطق السورية الواقعة غرب الفرات ومن ثم فإنّ للتسمية مدلول جغرافي محض يشير إلى جهة الغرب التي كانت موطناً للقبائل البدوية التي انطلقت من جبل بسَر(جبل البشري بين الرقة ودير الزور وحمص) المعروف بجبل الأموريين، وتعد تسمية الامورّيين أول إشارة حقيقية لسكان سورية القدماء في العصر الأكادي، وقد اقترنت عند سكان العراق مع معنى ‹البدوي› بحكم أن هذه القبائل كانت لا تعرف الزراعة بل تمارس الرعي وتسكن الخيام، ومع الزمن تحولت كلمة أمورو إلى تسمية ذات دلالة عرقية تشير إلى الشعب الأموري الذي أسس عدة ممالك في بلادي الشام وما بين النهرين كان من أهمها بابل.

والكنعـانيون والفلسـتيّون، قـرر يشّـوع تعبئـة القـوم لاحـتلال فلسـطين قـائلاً لهـم:" **هيئـوا لأنفسـكم زادا لأنكـم بعـد ثـلاث أيـام تعبـرون الأردن هـذا لكـي تـدخلوا فتمتلكـوا الأردن التي يعطيكم الرب إلهكم لتملكوها**".[52]

وتقـص التـوراة الأحـداث التـي جـرت بعـد ذلـك بتفاصـيل يشـوبها الكثيـر مـن الخيـال ممـا جـاء فيهـا، فـأمر يشّـوع بعبـور النهـر فـي موكـب "**وثنـى خاشـعاً يمـد المـاء**

ينظـر: الرحـال، محمـد عـادل، صـناعة المعـادن وتجارتهـا فـي مملكـة أوغاريـت، الهيئـة العامـة السورية للكتاب، دمشق 2018، ص 62.

[50] **الفريزيـون:** هـم طائفـة معـدودة مـن الكنعـانيين لكـن يبـدوا أنهـم عنصـر مختلـف عـن الكنعـانيين أقـدم مـنهم فـي الـبلاد، فقـد كـانوا مـن القبائـل التـي تسـكن أرض كنعـان. ينظـر: شـنودة، زكـي، المجتمع اليهودي، (د. ط)، مكتبة الخانكي، مصر 1905، ص 50.

[51] **اليبوسيون:** سكان مدينة القدس قديماً، عرفوا باسم "اليبوسيين". ولا تزال هوية اليبوسيين القومية من المواضيع المثيرة للجدل وتعدد الآراء بسبب ندرة الأدلة من جهة، وعدم وضوح المعروف منها في الوقت الحاضر من جهة أخرى. فهناك من الباحثين من يرى أنّ اليبوسيين كانوا من الكنعانيّين ويستندون في رأيهم هذا إلى المصادر التوراتية التي تعتبرهم من الأقوام التي انحدرت من كنعان. ويرى آخرون أنهم من الأموريين استناداً إلى ما تحدثت عنه التوراة من ترؤس ملك اليبوسيين "آدوني صادق" لحلف أقامه الأموريون، واستنادا إلى العثور على اسم "يابو–سوم" في الكتابات الأمورية التي تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد في المنطقة الواقعة على حدود بلاد بابل الشمالية الغربية، ويرجّحُ عدد آخر من العلماء أن اليبوسيين يعودون إلى أصول حورية. وحجتهم في ذلك أن الأسرة التي كانت تحكم القدس في عصر العمارنة (حوالي 1400 ق.م.) كانت تحمل أسماء حورية كذلك "عبدي–خيبا" لأن "خيبا" أو"خيبات" اسم لإلهة حورية مشهورة. أما بالنسبة الى تأريخ دخول اليبوسيين فلسطين فإنّ الأدلة المستنبطة من مراسلات تل العمارنة تشير بما لا يترك مجالا للشك إلى وجودهم في فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ينظر: **سوسة، أحمد**، العرب واليهود في التاريخ، ص 725.

[1] **سفر يشّوع:** 6: 26.

تحت أقدامهم ثم وقف الموكب أمام الأسوار المقفلة وطاف حولها بأمر الرب سبعة أيام وفي كل يوم سبعة أطواف وهو يهتف بالرب وينفخ بالأبواق وفي اليوم السابع سقطت الأسوار بمعجزة ربانية فدخلوا المدينة وقتلوا من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير أحرقوها"[53] ومن المدن التي استولى عليها يشّوع: بيت إيل[54] وعاي ولخيش وعجلون ودبير.

يعلق المؤرخ بيللوك على سفر يشّوع في كتابه «أرض المعركة»:" لقد عيّن يشّوع رقعة للقبائل لم تستطع أن تملأها"،[55] إذ عجز بنو إسرائيل عن احتلال كامل كنعان وخصوصاً يبوس لتحصينها المنيع والمقاومة الشديدة لليبوسيين الذين اتحدوا مع ملك حاصور[56] ضد يشّوع فلم يستطع بنو إسرائيل الاستيلاء على قلعة اليبوسيين في أورشليم القدس (حصن صهيون فيما بعد)[57]، عدا عن مدن الساحل التي بقيت بيد الفلستيّين.

علم الآثار يقتفي أثر الدمار في أواخر البرونز ومستهل عصر الحديد

في ثمانينيات القرن الماضي بدأ علماء الآثار التوراتيون يبحثون عن أدلّة على الغزوات الإسرائيلية الموصوفة في سفر يشّوع، وعلى الرغم من أن هذه

---

[53] **سفر يشّوع:** 6: 19-26

[54] **بيت إيل:** بيت الله تقع على بعد 16 كيلو متر شمال القدس. ينظر: عرابي، رجاء عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، ص 184.

[55] **جيفرز. ج.** ن، فلسطين إليكم الحقيقة، تر: أحمد خليل الحاج، ج 1، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة 1971، ص 40.

[56] **حاصور:** هي كبرى مدن الجليل الأعلى بشمال فلسطين على مقربة من مرتفعات الجولان السورية، تقع على بعد تسعة اميال شمال بحر الجليل. ينظر: عثمان احمد، تاريخ اليهود، ص 109.

[57] **صهيون:** كلمة كنعانية او تعني قمّة، وبقيت في العربية" صياصي الجبال". ينظر: **مصطفى كمال عبد العليم، سيد فرج راشد،** المرجع السابق، ص 76.

الجهود لم تتوصل إلى دليل تاريخي معروف يثبت تاريخيّة تلك الغزوات نرى بعض علماء الآثار التوراتيين مازالوا مصرّين على أن القاعدة الأساسيّة في علم الآثار هي الإيمان بتاريخ الكتاب المقدس وهنا تكمن المشكلة.

بدأ موقف التيار المتشدد (الآثاريون التوراتيون) بالانهيار بشكل خطير عندما قامت كاثلين كينيون بحفرياتها في موقع أريحا وخلصت في كتابها «حفر في أريحا» أن المدينة كانت شبه مهجورة في أواخر العصر البرونزي المتأخر أي في القرن الرابع عشر قبل الميلاد وتعتقد كينيون بأن التل لم يكن مأهولاً حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد والأدلة الأثرية من العصر البرونزي المتأخر في تل السلطان شحيحة للغاية[58].

وتبين تنقيبات كينيون بوضوح أن جارستانج أخطأ في تأريخ السور المزدوج للعصر البرونزي المبكر وعزاه للعصر البرونزي المتأخر، كي يتناسب مع فرضيته حول غزو يشّوع بن نون لأريحا إلا أنه من المؤكد أن علماء الآثار لم يعثروا على أسوار مدينة أريحا في زمن غزوة يشّوع المفترض، مشيرين إلى التعارض بين الروايات التوراتية والدلائل الأثرية. ولم يتمكّن علم الآثار من تقديم دليلٍ أثري على التدمير الوارد في سفر يشّوع، وأظهرت كينيون دلائل بسيطة من العصر البرونزي المتأخر بين الأعوام 1400–1325 قبل الميلاد من دون أي إشارة إلى سور المدينة.[59]

[58] **Kenyon, K. M**, 1957- Digging up Jericho. Ernest Benn Limited, London, p58

[59] **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، وزارة الثقافة والآثار الفلسطينية، رام الله 2011، ص 39.

لكن الدلائل الأثرية لا تقدم صورة واضحة عن أريحا في الفترة ما بين القرنين السادس عشر والثالث عشر قبل الميلاد. لذلك لا يمكن الربط بين الدليل الأثري والرواية التوراتية عن غزوة يشّوع، إذ أن المدينة لم تذكر في السجلات المصرية ولافي حملة تحوتمس الثالث على فلسطين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ولا في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[60].

ويرى لورنس أي ستيجر في كتابه اختلاق هوية "ظهور إسرائيل القديمة" بعد دراسته لعدة مدن تم الحديث عن غزوها من قبل يشّوع أنه لا يوجد دليل على غزو إسرائيلي في أواخر العصر البرونزي، وغالبا ما يكون دليلا مخالفاً تماماً، ويقدم ستيجر دليلاً من نتائج الحفريات الأثرية في فلسطين بأن الغزو الإسرائيلي لكنعان لم يحدث أبداً، وهذا يقودنا إلى نفي الخروج من مصر وبالتالي رفض الرواية التي تنسب العبرانيين إلى إبراهيم والآباء الأسطوريين في سفر التكوين. [61]

وفي السياق أكّد المؤرخ ستيجر أنه لا يوجد دليل على غزو موحد للمدن وأن بعض أهم المدن المذكورة في سفر يشّوع، مثل أريحا وعاي قد هجرت بالفعل قبل قرون من حدوث الغزو المفترض، نظراً لوجود مصدر مياه دائم الجريان في أريحا فإنها كانت مشغولة بقرية كنعانية صغيرة غير مسوّرة في بداية عصر الحديد. [62]

[60] **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، ص 39.

[61] **Stager, E. L**, 1998- Forging an Identity The Emergence of Ancient Israel, Oxford University Press, New York, p 91.

[62] **Stager E. L**, Op. Cit, PP 132- 133.

الحدث التوراتي إلى التيه من جديد

يقدم المؤرخ إسرائيل فنكلشتاين في كتابه التوراة مكشوفة على حقيقتها رؤية نقدية لسفر يشّوع محاولاً تفكيك الرواية النمطية التي تُرجِع إحراق المدن في كنعان إلى غزوات يشّوع الخاطفة إذ يقول:" الحقيقة أننا لا نعرف على وجه الدقة سبب انهيار العصر البرونزي المتأخر في جميع أنحاء المنطقة، رغم ذلك فإن الشواهد الأثرية التي تدل على ذلك الانهيار واضحة.

من المحتمل أن أزمة اقتصادية اجتماعية شديدة أدت إلى حصول نزاعات شديدة بين المدن الكنعانية من أجل السيطرة على الأراضي الزراعية الحيوية، وفي بعض الحالات لربما قام الفلاحون والسكان الرعاة بمهاجمة المدن وحرقها، فسقطت المدن الغنية واحدة بعد الأخرى في حرائق مثيرة ومفاجئة، لتدخل المنطقة في مرحلة انحدار وانحطاط تدريجي، إذاً هذا التحول العظيم لم يكن مباغتاً في كل مكان، إذ تشير الأدلة الأثرية إلى أن دمار المجتمع الكنعاني كان عملية طويلة وتدريجية نسبيا؛ وجد المنقبون في لخيش في طبقة الدمار، جزءاً معدنياً من المحتمل أن يكون ملائماً للباب الرئيسي للمدينة، يحمل اسم الفرعون رعمسيس الثالث، هذا الاكتشاف يخبرنا أن المدينة دمرت في وقت ليس أبكر من عهد هذا الملك، الذي حكم بين 1184– 1153 ق ".[63] م، وفي

[63] **فنكلشتاين، اسرائيل**، سيلبرمان، نيل أشير، التوراة اليهوديّة مكشوفة على حقيقتها، مرجع سابق، ص 126

خرائب مجدو تم اكتشاف قاعدة معدنية لتمثال يحمل اسم رعمسيس الرابع 1143- 1136 ق م.[64]

ذكرت التوراة أنّ ملوك المدن الأربع حاصور، أفيق، لخيش، ومجدو، هُزموا على يد العبرانيين تحت قيادة يشّوع، لكن الأدلة الأثرية تظهر بأن دمار تلك المدن حدث على مدى أكثر من قرن، والأسباب المحتملة لذلك الدمار هي: إما عمليات غزو، أو انحلال اجتماعي، أو حروب أهلية؛ أي أنه لم تقم بذلك الدمار قوة عسكرية وحيدة، وبالتأكيد؛ لم يتم ذلك الدمار خلال حملة عسكرية واحدة[65].

اقتفى عدد من الدارسين أثر المؤرخ ألبريخت أولبرايت في بحثه عن بينات أثرية غير توراتية عن أصول إسرائيل متبنين التصور الذي تطوّر بسرعة في شأن اعتبار علم الآثار التوراتي وسيلة لتأكيد تاريخانيّة المرويات التوراتية خاصة ما تعلق بعهد موسى والخروج والتيه وقصص الغزو في سفر يشّوع. هؤلاء الدارسون المحافظون مثل غلويك وجيز أي رايت وآر. دوفوكس كانوا متأثرين جداً بهذا التوجه للبحث عن توكيد غير توراتي للمرويات متحدثين بثقة عن النتائج التي ستسفر عنها التنقيبات الأثرية التوراتية بالنسبة لتاريخ أصول

[64] **رعمسيس الرابع:** هو ابن رعمسيس الثالث حكم بين 1143- 1136 ق. م، ساءت أوضاع مصر في عهده بسبب ازدياد نفوذ الكهنة، يُذكر له أنه أنشأ بعض المعابد. ينظر: **قابلو، جباغ؛ سمير، عماد**، تاريخ الوطن العربي القديم، ص 404.

[65] **فنكلشتاين، إسرائيل**، سيلبرمان، نيل أشير، التوراة اليهوديّة مكشوفة على حقيقتها، المرجع نفسه، ص 127.

إسرائيل القديم وتأكيد تاريخيّة سفر يشّوع في ضوء الفهم المتزايد للعصر الحديدي الأول[66].

وفي هذا السياق يعلّق توماس طومسن في كتابه « التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي» على نتائج أبحاث دوفوكس بقوله" لقد أكد دوفوكس بقوّة تاريخانية قصص الآباء إلا أن عرضه لبينات الشرق الأدنى القديم غير التوراتية كإثبات لهذا التأكيد، لا يذهب إلى إثبات ما هو أبعد من التشابه، إن ضعف التأييد لهذه التاريخانية كان بارزاً في كتاب مكرس لعرض التقاطع بين المصادر التوراتية وغير التوراتية، وبالنظر لاستقامة دوفوكس وتعمقه كباحث، لاحظ القرّاء أنه ليست هناك أي بيّنة على هذه الفترة التاريخية المزعومة"[67]

الخاتمة

إنّ تحليل مصطلح– العبرانيين– والبحث في الأصل اللغوي والتاريخي للمرادفات الأخرى يقودنا إلى الاعتقاد بأن هذه التسميات تطورت على مراحل، تبعاً لتطور الأوضاع السياسية في الشرق الأدنى القديم، إذ لم يكن تاريخ فلسطين منفصلاً عن محيطه، لا سياسياً ولا اجتماعياً ولا ثقافياً، أما ما ورد في التوراة من تسميات لهذا الشعب، فيحتاج إلى كثير من التدقيق نظراً للتناقض الواضح وعدم مراعاة سلّم زمني مقبول عند إيراد التسميات.

بالتدقيق في الرواية التوراتية فإننا نجد لمصر مكانة متميزة في تاريخهم، إذ كانت مصر بمثابة المسرح التخيلي لأعظم الأحداث التي مر بها هؤلاء، بدءاً

[66] **طومسون، توماس. ل**، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، تر: صالح علي سوداح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت 1995، ص 57.

[67] **طومسن، توماس**، التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، المرجع نفسه، ص 57.

من عصر الآباء الذي لم يثبت وجوده تاريخيا وصولا لسقوط أورشليم بيد البابليين، كانت مصر حاضرة بقوة في الذاكرة اليهودية بما يثير الشكوك حول الأصول المصرية لعقائد الموسويين.

إن رواية سفر يشّوع عن غزوات خاطفة وحرب مدمرة أدت لاحتلال أرض كنعان، ليس لها ما يؤكدها لا في المصادر المسمارية ولا في الشواهد المادية، كما أن نظريات الأصول الأولى للعبرانيين لا يمكن اعتمادها كحقيقة تاريخية نهائية.

إن تناول تاريخ هذه الحقبة كموضوع للبحث الجامعي يتطلب جهداً أكبر ومعرفة حقيقية بلغات الشرق القديم، كما أن إمكانية المعاينة والمشاهدة المباشرة سواء للأوابد الباقية أو للقطع المتحفيّة أمر شبه مستحيل في ظل الظروف السياسية الحالية خاصة ونحن نعلم أن تزوير التواريخ، وتحريف ترجمة النقوش أمر تكرر حدوثه من قبل المؤرخين المتعصبين للتوراة بسبب خضوع التاريخ العبراني لاعتبارات سياسية، لذا يتوجب على الباحث الحذر والدقة في استخدام المصادر التاريخية، والتحلي بدرجة من الموضوعية بعيداً عن أي اعتبار.

لم تبدأ إسرائيل القديمة في التبلور حتى شرعت مجموعة أو مجموعات في عملية الاستيطان في المرتفعات، كما يتضح من علم الآثار، بمعنى آخر لم يكن هناك "إسرائيل" قبل بداية الحديد الأول، والأغلب بعد ذلك التاريخ بكثير، حين ظهرت دويلة السامرة التي أطلق عليها المؤرّخون المعاصرون اسم إسرائيل، متأثرين بما جاء في التوراة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

- **العهد القديم**، جمعية الكتاب المقدّس في لبنان، ط 4، بيروت 1995.
- **الطبري، أبو جعفر ابن جرير**، تاريخ الملوك والأمم، ج 1، المكتبة التوفيقية، القاهرة 1960

قائمة المراجع

- **باقر، طه**، مقدمة في تاريخ الحضارات، ط 2، ج 2، شركة الطباعة والتجارة المحدود، بغداد 1956.
- **حسن، سليم**، موسوعة مصر القديمة، ج 4، هيئة الكتاب والمجموعة الثقافية المصرية، القاهرة 2001.
- **خان، ظفر الإسلام**، تاريخ فلسطين القديم (1220 ق م – 1359 م) منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط 3، دار النفائس، بيروت 1981.
- **الرحال، محمد عادل**، صناعة المعادن وتجارتها في مملكة أوغاريت، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق 2018، ص 62.
- **السعد جودت**، أوهام التاريخ اليهودي، ط 2، منشورات الأهلية، عمّان 1998.
- **السوّاح، فراس**، آرام دمشق وإسرائيل، منشورات علاء الدين، دمشق 1995.

▪ **سوسة، أحمد**، العرب واليهود في التاريخ، ط 7، العربي للإعلام والنشر، دمشق 1978.

▪ **سليمان، عامر**، المعجم الأكادي، ج 1، ط 1، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1999.

▪ **الشامي، رشاد**، رؤى إسرائيلية في إشكاليات التاريخ والفكر الديني اليهودي، ط 1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2007.

▪ **شنودة، زكي**، المجتمع اليهودي، (د. ط)، مكتبة الخانكي، مصر 1905.

▪ **طبارة، عبد الفتاح عفيف**، اليهود في القرآن، ط 4، دار العلم للملايين، بيروت 1974.

▪ **طعيمة، صابر**، التاريخ اليهودي العام، ج 1، ط 3، دار الجيل، بيروت 1999 م

▪ **طه، حمدان**، أريحا عشرة آلاف سنة من الحضارة، وزارة الثقافة والآثار الفلسطينية، رام الله 2011.

▪ **عادل، إبراهيم**، ابتهال، اليهود في المصادر المسمارية، 1000–395 ق.م، منشورات علاء الدين، ط1، دمشق 2014.

▪ **عرابي، رجا عبد الحميد**، سفر التاريخ اليهودي، ط 1، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق 2000.

- **فضل، حسن عباس،** القصص القرآني، (د. ط)، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر 1984.

- **قابلو، جباغ؛ سمير**، عماد، تاريخ الوطن العربي القديم، منشورات جامعة دمشق 2008.

- **محمد، محمد قاسم،** التناقض في تواريخ وأحداث التوراة " من آدم حتى سبي بابل"، جامعة قطر، الدوحة 1992.

المراجع المترجمة

- بريستد، جيمس هنري، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي، تر: حسن كمال، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة 1996.

- جيفرز.ج. ن، فلسطين إليكم الحقيقة، تر: أحمد خليل الحاج، ج 1، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهر ة 1971.

- ريدفورد، دونالد، مصر وكنعان وإسرائيل في العصور القديمة، تر: بيومي قنديل، ط2، المركز القومي للنشر، القاهرة 2006.

- **طومسون، توماس. ل،** التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، تر: صالح علي سوداح، ط 1، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت 1995.

▪ **غلايكوفسكي، إيمانويل،** عصور في فوضى من الخروج إلى الملك اخناتون، تر: رفعت السيد، ط 1، دار سينا للنشر، القاهرة 1995.

▪ **فرويد سيغموند،** النبي موسى ورسالة التوحيد، تر: عبد المنعم الحفيني، ط 1، دار الرشاد، القاهرة 1991.

▪ **فنكلشتاين، إسرائيل، سيلبرمان، نيل أشير،** التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، تر: سعد رستم، صفحات للدراسة والنشر، دمشق 2006.

▪ **مالمات، ابراهام؛ تدمور، حاييم،** العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، تر: رشاد عبد الله الشلّي: ط 1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2001.

الموسوعات العربية والعالمية.

▪ الموسوعة الفلسطينية، **معاوية، إبراهيم** "فلسطين عبر التاريخ"، القسم الثاني، الدراسات الخاصة، مج 1، بيروت 1990.

المراجع الأجنبية

Albright. William Foxwell, Yahweh and the Gods of cannan, The Athlone Press, London 1968.

Dever. William Gwinn, Beyond the Texts, An Archaeological Portrait of Ancient Israel and Judah, SBL Press, Atlanta 2017.

Kenyon. Kathleen Mary, Digging up Jerusalem, Ernest Benn, London, 1960.

Kenyon. Kathleen Mary, Royal Cities of the Old Testement, New york 1972.

Sarna. Nahum Mattathias, Israel in Egypt, prentice Hall, New jersey,1988.

Speiser Ephraim Avigdor, Genesis, The Anchor Bible Garden City, Doubleday, New York 1964.

Stager Lawrence E, Forging an Identity The Emergence of Ancient Israel, Oxford University Press, New York 1998.

Wright. George Ernest, The Biblical Archaeologist, Near Eastern Archaeology, The Westminster Press Magazine, Philadelphia, 1960.

الحضارة العربية الإسلامية في ظل النشاط البحري

(حالة المغرب الإسلامي إنموذجاً)

الطالب: علي موسى طالب

إشراف د. بسام علوش . جامعة البعث/ دكتوراه تاريخ العرب والإسلام.

الملخص

من البديهي أن يقترن وجود مجتمع من المجتمعات أو فرداً من الأفراد بحضارة قائمة تطبع ذاك المجتمع أو الفرد بطابعها الخاص، وبما أن الحضارة ترتكز على مقومات فأنها تنشأ متأثرة بعوامل متعددة النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية والدينية، ولأن النشاط البحري كونه جزءاً لا يتجزأ من معطيات الحضارة، فقد كان له أثراً لا يمكن إغفاله على الدول من الناحية الحضارية، وساهم في تكوين الحضارات وتشكيلها سواءً سلباً أو إيجاباً.

والبحث في هذا الصدد يهدف إلى تقديم صورة يتضح من خلالها أثر النشاط البحري ودوره في حضارة الدول التي قامت على ساحل البحر الأبيض المتوسط خلال المرحلة الإسلامية الوسيطة في بلاد المغرب العربي الإسلامي، بما في ذلك السلوك والذهنية التي سادت لدى أهل المغرب العربي الإسلامي.

فالقول بأثر النشاط البحري في حضارة أهل المغرب العربي الإسلامي يعني دراسة عدة نواحي لإماطة اللثام عن حياة المجتمع المغربي في ذلك الوقت، وهي: الناحية الثقافية، والاقتصادية، والدينية بالنسبة لكل بلد حسب المعلومات المتوافرة.

الكلمات المفتاحية: النشاط البحري العربي الإسلامي، الحضارة المغربية، سلوك وذهنيات أفراد المغرب العربي الإسلامي، أثر النشاط البحري.

Arab-Moroccan Islamic civilization in light of maritime activity

ABSTRACT

It is self-evident that the existence of a society or an individual is associated with an existing civilization that imprints that society or individual with its own character, and since civilization is based on components, it arises influenced by factors of multiple political, economic, intellectual and religious aspects, and because maritime activity is an integral part of the givens of civilization, It had an impact that cannot be overlooked on countries from a civilizational standpoint, and contributed to the formation and shaping of civilizations, whether negatively or positively.

Research in this regard aims to provide a picture through which the impact of maritime activity and its role in the civilization of the countries that were established on the coast of the Mediterranean Sea during the intermediate Islamic phase in the countries of the Islamic Maghreb becomes clear, including the behavior and zenism that prevailed among the people of the Islamic Maghreb.

The statement has an impact. Maritime activity in the civilization of the people of the Arab-Islamic Maghreb means studying several aspects to reveal the life of Moroccan society at that time, which is the cultural, economic and religious aspect for each country according to the available information.

Key words: Arab-Islamic maritime activity, Moroccan civilization, behavior and mentality of the people of Morocco Arab Islamic,, the impact of maritime activity.

مقدمة.

يبدو للوهْلَةِ الأولى أن البحث في موضوع كهذا يحتاج إلى وقت طويل، وإلى كتب ومجلدات لحصره، إلا أنه سيتم إلقاء إضاءات خلال مرحلة الدراسة بالشكل الذي يمكن من خلاله تكوين فكرة شاملة عن النشاط البحري وأثره على الحضارة العربية المغربية من غير إطناب ممل ولا اختصار مخل.

وبما أن الحضارة تعني في نظر الإنسان المستوى الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والروحي لمجتمع معين أو دولة، وهي وليدة العروبة والإسلام في بلاد الغرب الإسلامي، فإن النشاط البحري كونه جزءاً لا يتجزأ من معطيات الحضارة كان له أثره على الدول من الناحية الحضارية، لأنه يصعب أن يتصور الإنسان وجود مجتمع من المجتمعات أو فرداً من الأفراد دون حضارة، فلا بد وأنه كان لهم مستوى معين من التفكير، وأسلوب من النشاط عالجوا به أمورهم وعلاقتهم مع الغير.

وكان انبثاق فجر الإسلام الذي انتشر بفعل الحملات البرية والبحرية ظاهرة دائمة ومستمرة، صحبها تبديل جوهري في ثقافة المواطنين في أغلب بلاد هذا البحر، ولم يزل أثر ذاك التغير يمثل الحقيقة الكبرى والظاهرة الجوهرية التي تميز هذا الجزء من العالم، مما يجعل من الأهمية الالتفات إلى الأثر الذي تركه النشاط البحري في انتشار الإسلام وتحول الثقافة، وفي ذلك أقر كثير من المستشرقين الذين أنصفوا الإسلام ومنها القول: بأن الإسلام هو الذي استطاع وحده أن يخلق في هذه البلاد – بلاد الغرب الإسلامي– حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتين القرطاجية والرومانية رغم سموهما، ويعنى بالحضارة الحق: حضارة ترتكز على مقومات اجتماعية كوجود الأمة واكتمال مقوماتها، وتوفر العناصر الروحية والمادية والضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها، وصيانة تراها وتراثها، وهذا الشيء قد أوجده الإسلام الذي انضوى المغرب تحت رايته طيلة أربعة عشر قرناً، ولم يكن ذلك ليحصل دون الحملات البرية التي ساندتها الحملات البحرية والرحلات الثقافية والتجارية.

1- إشكالية البحث.

تكمن إشكالية البحث "**مشكلة البحث**" في بيان وتوضيح الدور الذي أسهم به النشاط البحري العربي الإسلامي في حضارة أهل المغرب العربي الإسلامي من نواحي متعددة يمكن من خلالها معرفة الدور الكبير الذي شغله النشاط في تكوين الثقافة العربية الإسلامية، والسياسة الاقتصادية والدينية المتبعة، وبيان مبلغ أثره في الأحداث التاريخية.

وتضاف إشكالية غاية في الأهمية وهي: محاولة تسليط الضوء على السلوك المتبع والذهنية التي سادت في ذلك الوقت، وما نتج عن ذلك من تطورات طرأت على أهل المجتمع العربي الإسلامي في بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال العصر الوسيط.

2- أهمية البحث.

تبرز أهمية البحث كونه إحدى المحاولات التي يراد من خلالها إيضاح أهمية النشاط البحري العربي الإسلامي وأثره في تكوين الحضارة العربية الإسلامية في بلاد المغرب العربي الإسلامي.

كما يرى الباحث أن في دراسة النشاط البحري وأثره أهمية كبيرة، ومنفعة عظيمة، لأن أغلب الدراسات اتسمت في معظمها بطابع التجسيد والوصف للواقع السياسي والاجتماعي للأمة العربية الإسلامية، وتأتي هذه الدراسة في سبيل الكشف عن طبيعة السلوك المتبع لأفراد المجتمع المغربي في ظل النشاط البحري.

3- صعوبات البحث.

لكل عمل علمي مهما كان نوعه، وطريقة بحثه صعوبات متعددة منها:

- كثافة الأفكار التي يستقيها البحث.
- طول الفترة الزمنية التي يشملها البحث، وبالتالي وجب الحصول على مراجع متعددة تخدم البحث وتغطي جوانبه.

- الكثير من الدراسات التي تناولت دراسة النشاط البحري في العصر الإسلامي تضمنت دراسة عامة أي ترد ضمن السياق التاريخي للحدث، وتندر وجود الأبحاث المتخصصة بالحديث عن النشاط البحري وأثره في حضارة المغرب العربي الإسلامي، وهذا ما فرض جمع المعلومات من المراجع التي توفرت والتي كانت ذات دراسة تاريخية سياسية أو عسكرية.

4- منهجية البحث.

بهدف الوصول إلى نتائج قيّمة ودقيقة، قام البحث على دراسة عدة أمور والتطرق لها في محاولة لإلقاء الضوء على عدة نواحي عني البحث بها من خلال ما جاء في المصادر والمراجع، معتمداً على مناهج بحثية متعددة، وهي:

- دراسة وصفية تاريخية **(المنهج الوصفي)** من أجل إلقاء الضوء على الحالة العامة لحالة النشاط البحري الذي كان سائداً في المرحلة التي هي موضع الدراسة.
- دراسة تحليلية **(المنهج التحليلي)** لأجل تحليل المعلومات واستنباطها وتكوين صورة عن الحالة الثقافية والاقتصادية والدينية التي ساهم النشاط البحري بتكوينها ولو بشكل بسيط.

5- عرض البحث والمناقشة والتحليل.

أولاً- أثر النشاط البحري في حضارة أهل المغرب العربي الإسلامي من الناحية الثقافية:

لوصف تلك الحالات تجري عادة الباحثين بالعودة إلى المصادر التاريخية المعاصرة للفترة الزمنية الوثيقة الصلة ببلاد المغرب العربي الإسلامي، لكن ما يصعب الأمر أن المصادر المغربية لا تهتم كثيراً بتصوير الحالة الاجتماعية في التاريخ المغربي، ولا تلم بالاجتماعيات، ولا بالفكريات، بل إنها تسهب في وصف وتصوير الواقع السياسي،

وبالرغم من ذلك أمكن تكوين صورة بسيطة عن الطبيعة الثقافية التي ساهم **النشاط البحري**– الذي اقترن وجوده مع بداية الفتوح– في رسمها وتكوينها.

فالعلاقات الثقافية والتبادل العلمي التي ساهم النشاط البحري في وجودها عرفت نمواً بين المشرق والمغرب العربي الإسلامي طيلة الحكم العربي الإسلامي، وعلى مدى القرون الإسلامية التي هي محل الدراسة، وهذا ما تؤكده الصلات بين العلماء والفقهاء والشعراء والمحدثين، إذ غدت عواصم الدول مراكز الإشعاع العلمي والثقافي[1]، وهذا ما سيتم توضيحه.

وقد شهدت البلاد نهضة علمية وثقافية خلال العصور الإسلامية، ففي العصر **الطولوني** غدت الحركة العلمية والثقافية حلقة مستمرة مزدهرة في مصر العربية الإسلامية، وما بعد ذلك بقرون، وكان الوالي **أحمد بن طولون** (254–270هـ/868–884م)[2] مشغوفاً بمجالسة الفقهاء والعلماء، حريصاً على اتساع المدارك وتقريب

([1]) **الزواودي**، رشيد: **التبادل العلمي بين المشرق والمغرب**، مجلة الحضارة الإسلامية والمغرب صادرة عن المعهد الوطني للتعليم العالمي للحضارة الإسلامية، وهران، الجزائر، العدد:1، 1993م، ص325.

([2]) أبو العباس (220–270هـ/835–884م): الأمير، مؤسس الدولة الطولونية، من المماليك الأتراك، قضى حياته أول الأمر في ثغر طرسوس، فتعرف على بلاد الشام، ثم رحل إلى مصر ليحكمها نيابة عن والده الذي عينه الخليفة المعتز، المهم أن الظروف ساعدته على تثبيت أقدامه في مصر، وفي سنة 259هـ/873م أصبح ابن طولون والياً على مصر كلها بعد أن توفي حاكمها، فتولى مقاليد الأمور فيها، ودانت له الإسكندرية وبرقة، وقدم له أمراء الكور الطاعة، وعمل على تحصين الجبهة الداخلية إلى أن أتيحت له الفرصة لإقامة دولة انفصالية في مصر. **ابن خلكان**، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج:1، ص173–174. **البلوي**، عبد الله بن محمد المديني: **سيرة أحمد بن طولون**، تح: محمد كرد علي، مكتبة الثقافة

المسالك، فأضحت مدينة **القطائع**[1] حافلة بالعلماء والمحدثين والمتصوفة والأدباء والشعراء والمؤرخين، ولم تكن الحركة العلمية حكراً على مراكز الدول، وإنما امتدت الحركة العلمية في أنحاء الدلتا والصعيد. كل ذلك مهد له **الاتصال البحري** و**الرحلات** بين بلاد البحر الأبيض المتوسط التي تمت في ذاك الوقت، ولم يغير من الأمر شيء قيام الدولة **الإخشيدية**[2]، إذ ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية[3].

الدينية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص200. **طقوش**، محمد سهيل: **تاريخ الدولة العباسية**، دار النفائس، ط:7، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص195-197.

([1]) بناها أحمد بن طولون عندما ضاقت مدينة العسكر في بيت الإمارة، وأصبحت عاصمة الدولة الطولونية (259هـ/870م)، يرجع اسمها إلى تخطيطها المتقاطع. **مأمون**، جيهان ممدوح: **الدولة الطولونية والإخشيدية في مصر**، تقديم: قاسم عبده قاسم، دار نهضة مصر، ط:1، الإسكندرية، مصر، 2009م، ص10.

([2]) قامت الدولة الإخشيدية بعد ثلاثين سنة من سقوط الدولة الطولونية وهي فترة زمنية متقاربة، وكانت أوجه الشبه بين الدولتين كثيرة، وتنتسب إلى المؤسس محمد بن طغج الإخشيدي الذي حارب الفاطميين بعد أن ازدادت هجماتهم على مصر، ولاه الخليفة العباسي الراضي على مصر سنة (324هـ/935م) ومنحه لقب الإخشيد لكسب مودته. **مأمون**، جيهان ممدوح: **الدولة الطولونية والإخشيدية في مصر**، تقديم: قاسم عبده قاسم، دار نهضة مصر، ط:1، الإسكندرية، مصر، 2009م، ص34.

([3]) **كاشف**، سيده إسماعيل وسرور، جمال الدين وعاشور، سعيد عبد الفتاح: **تاريخ مصر الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1993م، ص192.

وظل الإسلام في حالة مد وجزر بين أهالي المغرب العربي الإسلامي طيلة نصف قرن من الزمان حتى قامت **الدول المنفصلة**[1] في إفريقية وتاهرت وسجلماسة وفاس[2]، وعملت على نشر الإسلام والثقافة العربية بين أبناء البربر[3]، إذ استقطبت بلاد المغرب العربي الإسلامي عناصر مشرقية وفدت إليها من خلال الرحلات البرية والبحرية، وساهمت الدولة **الرستمية** في النهضة العلمية والثقافية، نظراً لتشجيع الأئمة الرستميين لها، حتى أنهم كانوا كلما ظهر كتاب في الشرق جلبوه إليهم وزوّدا به مكتباتهم[4]، حتى أن مكتبة "**المعصومة**" التي أنشأها بنو رستم تدل على مدى التأثر الثقافي والنهضة الحضارية[5]، جمع فيها الرستميون العديد من الكتب القيمة في مختلف العلوم والرياضيات، وأخذوا بالنسخ فنسخوا له أربعين حملاً من الكتب[6].

([1]) سيطرت على بلاد المغرب العربي الإسلامي دويلات وخلافات إسلامية تدين بمذاهب مخالفة لمذهب الخلافة العباسية في بغداد، ومنها مذهب **الخوارج** الإباضية لبني رستم في **تاهرت** (المغرب الأوسط)، وإمارة بني مدرار الخوارج الصفرية في **سجلماسة** التي أسسها بربر مكناسة من الخوارج الصفريين، كما ظهرت دولة (الأدارسة) في **فاس** بالمغرب الأقصى بعد مرحلة بسيطة من قيام الإمارة الأموية في الأندلس.

([2]) **بلعربي**، خيرة: **المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (5-10هـ/11-16م)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م ص46.

([3]) سيتم التطرق لذلك: **من الناحية الدينية.**

([4]) **بونار**، رابح: **المغرب العربي، تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للكتاب، ط:3، الجزائر، 1968م، ص64.

([5]) **داوود**، سليمان بن يوسف: **حلقات من تاريخ المغرب**، مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993م، ص63.

([6]) **سالم**، عبد العزيز: **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، ط:1، بيروت، لبنان، 1980م، ج:2، ص576.

وفيما بعد تمكن فيما بعد المولى **إدريس** (172-177هـ/788-793م) مؤسس دولة **الأدارسة** أن يجمع القبائل البربرية تحت لواء العروبة ويعلمهم الثقافة العربية، بعد أن عهد إلى رجاله مهمة نشر اللغة العربية، وبالتالي اندمج العرب مع البربر، ونتج عن اختلاط السكان تزاوج العرب بالبربر، وتأثر البربر باللغة العربية، وأصبحت هناك قبائل لغتها العربية نظراً للتأثير العميق، وأشار الإدريسي بقوله: "كان يسكن حول فاس قبائل من البربر لكنهم يتكلمون اللغة العربية وهم بنو يوسف وقلاوة وبهلول وجانة وزواوة ومجتاحة"[1].

فمدينة فاس جعلت اللغة العربية هي اللغة المستعملة في أسواقها ومدارسها وبيوتها وعادات سكانها وجعلتها تشرق على البلاد، فكانت كمدينة القيروان[2] بالنسبة لإفريقية[3]، وشاركهم في نشر الثقافة العربية بنو صالح في إمارة نكور، أشير إلى ذلك في بحث مقدم عن أهل الريف جاء فيه أن الفضل في تعريب البربر وإدخال اللغة العربية إلى بلاد المغرب لا يرجع إلى الأدارسة فقط، لأن صالح بن منصور لم يكد يفتح تلمسان حتى أقطعه إياها الوليد فأسس دولة عربية في المغرب سميت بإمارة بني صالح[4].

([1]) **الإدريسي**، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت560هـ/1166م): **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، مطبعة بريل، ليدن، 1893م، ص79.

([2]) مدينة عظيمة بإفريقية، وليس بالمغرب مدينة أجل منها، بناها عقبة بن نافع في طرف البر وهي في موضع بعيد عن البحر لاتقاء هجمات الروم البحرية، اكتمل بنائها سنة 55هـ/675م. **الحموي**، ياقوت بن عبد الله (ت626هـ/1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، ج:4، ص420.

([3]) **مارسيه**، جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، مصر، (د.ت)، ص148.

([4]) **عبد الله**، عبد العزيز: **معطيات الحضارة المغربية**، دار الكتب العربية، ط:3، الرباط، المغرب، 1963م، ج:1، ص59.

والملاحظ ازدياد انتشار الثقافة العربية مع ظهور دول الخوارج المنفصلة في بلاد المغرب العربي الإسلامي خلال القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، والأغالبة في شمال إفريقية خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ثم ظهور الفاطميين ودعاتهم في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[1]، إذ عقدت في مساجد العواصم ورباطات السواحل حلقات العلم والمناظرة فضلاً عن الأسواق، وكان من أثر النشاط البحري التجاري أن اجتمع الأمراء بالعلماء والفضلاء والأطباء والشعراء الوافدين من المشرق[2]، وساهمت مختلف المؤسسات في ربط العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب، وغدت المساجد من أكبر المعاهد الثقافية لدراسة الحديث والفقه واللغة[3]، وهكذا تكونت الثقافات التي كان للنشاط البحري أثر كبير في مزجها من خلال انتقال العلماء والأدباء، فما السبب في ذلك؟ وبماذا تجلى؟

في سبيل التوضيح يمكن القول: إن نهضة دول الخوارج المنفصلة انطلقت من ثلاث مدن وهي: **القيروان**، و**تاهرت**[4]، و**فاس** فيما بعد، وكان تطور تلك المدن هو الحدث الأكثر بروزاً لنهضة حضارية، أثرت في ذهنيات الشعب البربري وجعلته أكثر تقبلاً للعادات الأقل خشونة، وأصبح أكثر تقبلاً للثقافة والعلم نتيجة لظروف تأسيس تلك العواصم والمدن، وقوة الجذب الذي أحدثته فيهم، وقوة التبادل والمتاجرة فيما بينها[5].

ولكن بالرغم من ذلك فإن التعريب لم يكن تاماً وعميقاً، لأن ثمة مناطق شملتها بلاد المغرب العربي الإسلامي كان من الصعب الوصول إليها، ولم تغيرها المؤثرات الحضارية المشرقية إلا بشكل جزئي وبطريق غير مباشر، فكانت التيارات التي وصلتها متقطعة،

([1]) **عبد الله: معطيات الحضارة المغربية**، ج:1، ص59.

([2]) **عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي**، ج:2، ص351.

([3]) **بلعربي: المسالك والدروب وأثرها**، ص129.

([4]) مدينة جليلة كانت تسمى عراق المغرب، لم تدخل في طاعة ملك إفريقية الأغلبي، وهي مدينة مسورة لها اربعة أبواب. **الحموي: معجم البلدان**، مج:2، ص7-9.

([5]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص64.

وغير مستمرة على نفس الوتيرة، كل ذلك بفعل النشاط البري والبحري سواءً عن طريق الهجرات أو التجارة[1].

ولما كان للنشاط البحري أثره الثقافي، فقد تجلى عندما تأسست **بيت الحكمة** الموجودة بالقيروان سنة 265هـ/879م علي يد إبراهيم بن الأغلب، وأسند رئاستها إلى أبي ياسر الشيباني، فجلبوا الكتب اليونانية واللاتينية عبر رحلات بحرية، واستقدم إليها إبراهيم عدداً كبيراً من العلماء من بلاد المشرق الإسلامي، وكان يبعث كل عام وأحياناً كل ستة أشهر سفارة إلى بغداد لاقتناء الكتب المشرقية[2].

ولم تكن حملات المسلمين البحرية على جزيرة **صقلية** وافتتاحهم لها بعيدةً عن نقل المؤثرات الحضارية والثقافية، لأن جزيرة صقلية تعد أحد المعابر الأساسية للحضارة العربية الإسلامية في طريقها إلى بلدان أوروبا، ولما تم افتتاحها قام المسلمون بتطوير أنماط الفلاحة ووسائل الري، وإقامة السدود، وأدخلوا إليها زراعات مختلفة، ونشطوا الحركة التجارية وطوروها، واتجهوا إلى النشاط العلمي والإبداع الثقافي حتى حولوا الجزيرة إلى معقل للعلوم والمعارف العربية الإسلامية الإنسانية، مما يدل على عمق التأثير الثقافي في الجزيرة التي كان النشاط البحري هو السبب في ضمها للحظيرة الإسلامية[3]، وهكذا وبفضل النشاط البحري انتقل الإسلام والثقافة العربية وانتقلت الحضارة إلى مدن جنوب إيطاليا فيما بعد[4].

([1]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص149.

([2]) **سالم**، عبد العزيز: **محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004م، ص202.

([3]) **بو عزيز**، يحيى: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، الجزائر، 2009م، ج:1، ص51.

([4]) **الشيال**، جمال الدين: **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1970، ص365-398.

وفي سبيل تأكيد ذلك لا يمكن إغفال قول الباحث روكسين جب الذي قال: "ولعل خير ما أسدته الآداب الإسلامية لآداب أوروبا أنها أثرت بثقافتها وفكرها العربي في شعر ونثر العصور الوسطى"[1].

وثمة نقطة أخرى يجب الانتباه لها أنه: لما كانت بلاد المغرب العربي الإسلامي والأندلس بعيدة عن بلاد المشرق الإسلامي مركز الحضارة في ذلك الوقت، فقد ظهر أثر النشاط البحري من خلال قيامهم بالرحلات البحرية والبرية من أجل تحصيل **العلم والثقافة**، إذ تحققت أبلغ الروابط الثقافية وأعمقها بين المشرق والمغرب العربي الإسلامي على يد رجال الفكر الذين كانوا يتوجهون من المغرب بالآلاف كل عام إلى بلاد المشرق فيصلون أسانيد الغرب بأسانيد الشرق، ويتبادلون ألوان العلوم والمعارف والفنون، ويجددون الأواصر المتينة التي ما فتئت تتجلى في وحدة ثقافية وفكرية عميقة ضمن إطار الحضارة العربية الإسلامية[2].

والملاحظ أنه منذ القرن الهجري الأول شهدت مدن المغرب العربي الإسلامي مثل **طنجة**[3] و**زويلة** تدفق العديد من المهاجرين الأندلسيين بسبب القحط والجفاف الذي تعرضت له الأندلس سنة 134هـ/751م، والذي استمر لسنوات[4]، وهذا كان سبباً في فاعلية الانتقال بين البلدين، وعلى العكس من ذلك فقد رحل كثير من أهل المغرب

([1]) **روكسين جب**، هاملتون أليكساندر: **تراث الإسلام**، بيروت، لبنان، 1972م، ص189.

([2]) **نقرة**، التهامي: **القيروان عبر العصور**، طباعة كتاب الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، 1964م، ص43.

([3]) على ساحل بحر المغرب، يقابل الجزيرة الخضراء، من البر الأعظم وبلاد البربر، والمسافة بين طنجة والقيروان 1000ميل، كانت مقصداً لقوافل التجار من ساحل طنجة إلى ساحل الأندلس، ولطنجة نهر كبير تدخله السفن، وهذا النهر يصب في البحر بشهادة الحميري، عدت طنجة من الموانئ المهمة في المغرب الأقصى. **الحميري: الروض المعطار**، ص396.

([4]) **ابن عذاري**، أبي العباس أحمد بن محمد (ت712هـ/1313م): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:1، تونس، 1434هـ/2013م، ج:2، ص47.

العربي الإسلامي إلى الأندلس أيضاً، فقد استقبلت الأندلس كثيراً من العرب من أهل المغرب العربي الإسلامي الذين تمازجوا مع المسلمين الجدد في الأندلس وتوثق ذاك الامتزاج بفضل الزواج الذي أحدث انصهاراً في بوتقة عرقية موحدة، كان لها نتائجها على الناحية الفكرية والثقافية، وظهرت نتائجها في القرون التالية[1].

ولعل من أهم الذين رحلوا إلى الأندلس **محمد بن هشام بن الليث اليحصبي** ويكنى "أبا عبد الله"، روى عنه كثير من مشايخ القيروان، مثل: يحيى بن عمر، رحل إلى الأندلس واستقر بقرطبة، واشتغل بالأوقاف وكان أديباً، توفي سنة 343هـ/954م[2].

ومن أهل القيروان الراحلين إلى الأندلس، أبا عبد الله **محمد بن أحمد** بن محمد بن جعفر البلوي، الذي سكن بجانة، وحدث عن أبي الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصفهاني، وعن أبي القاسم محمد بن محمد بن خالد الطرزي، كما أنه حدّث بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة إلى سنة أربعين وثلاثمائة، وذلك بعد أن تعلم من قضاة الأندلس[3].

وذكر الحميدي في كتابه "**جذوة المقتبس**" تراجم لكثير من العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى الأندلس من أجل العلم والثقافة، وكان منهم الفقيه **مكي بن محمد حموش**

([1]) **بروفنسال**، ليفي: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص17.

([2]) **بو عامر**، مريم: **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري**، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م ص17.

([3]) **ابن الفرضي**، أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:1، تونس، 1429هـ/2008م، مج:2، ص146.

المقرئ الذي رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة، وكان إماماً مشهوراً في القراءة[1]. وغيرهم الكثيرين[2].

ويضاف إلى ذلك الرحلات التي كانت بدافع **التجارة والعمل**، ومنها رحلة التاجر الفارسي أبي يزيد **ثيمة بن موسى بن الفرات**، الذي رحل إلى الأندلس من المشرق بعد أن خرج من فارس إلى البصرة، ثم سافر منها إلى مصر، ومن مصر رحل إلى الأندلس تاجراً، وكان يتاجر في الأقمشة، وعاد من الأندلس إلى مصر فمات بها سنة 227هـ/841م. وقد ذخرت كتب الرحالة بما كانوا يعانونه من أهوال البحر في رحلاتهم كأمثال ابن جبير، وأبو بكر بن العربي، والوزير أبو عبد الله محمد بن عبد ربه[3].

ومما يجب الالتفات إليه أن أغلب رحلات المغاربة إلى بلاد الأندلس وخاصة الرحلات الثقافية والعلمية، كان يسبقها رحلة طويلة إلى بلاد المشرق سواءً على البر أم في البحر، وذلك من أجل التعلم على يد علماء المشرق، وسماع الكثير عنهم، ثم يدخلون إلى الأندلس بعد أن يكونوا تشبعوا بالعلوم والمعارف المختلفة وأهمهما الدينية، ثم يقومون بتعليم الناس من علومهم التي حملوها معهم من بلاد المشرق الإسلامي، وكانوا يجدون الترحيب والتشجيع من الخلفاء، والدليل أن الفقهاء المغاربة تأثروا إلى حد كبير بالأسلوب

([1]) راجع **الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. مسعد**، سامية مصطفى: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط:1، الهرم، مصر، 2000م ص175-179. حيث ورد ذكر للمهاجرين من بلاد المغرب العربي الإسلامي من أجل تلقي العلم والثقافة.

([2]) للمزيد من المعلومات عن العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس، واستقروا بها، راجع: **ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس**، مج:1-2.

([3]) **سالم**، عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969م، ص60.

المشرقي في البحث فكانوا يتخذون المدونة أساساً ويبنون عليها أساس المذاهب بالأدلة والقياس[1].

ومن خلال ما تقدم، فإن التمازج والتكامل الثقافي الوثيق بين الأندلس والمغرب العربي الإسلامي عكس صورة مختلفة لما كانت عليه الأوضاع العسكرية والدينية –كما سيتم ذكر ذلك–، وتأثرت الحالة الفكرية بالمغرب العربي الإسلامي تأثراً بليغاً بالنهضة الثقافية في الأندلس، ومنها المباريات الشعرية، وبذلك تحول سكان بلاد المغرب العربي الإسلامي من بدو جفاة في بادئ أمرهم إلى أمة ذات حضارة ومدنية[2].

وعندما تذكر كلمة **مدنية** فهاذا يعني أن الأصل لتلك الكلمة هو **المدينة**، فمدينة **القيروان** عاصمة الأغالبة في المرحلة المدروسة، وحتى **تاهرت** عاصمة الرستميين، و**فاس** عاصمة الأدراسة، هيأت المناخ المناسب من أجل نمو الثقافة وازدهارها بين أهل المغرب العربي الإسلامي أنفسهم وبين جيرانهم من الأندلسيين، وكان وجود تلك الحواضر الثقافية في البلدين– المغرب والأندلس– سبباً في تمهيد السبيل أمام هذا الاتصال الفكري والثقافي[3]، وكان للوضعية الجغرافية والقرب أثراً كبيراً في تكييف العقلية على القيام برحلات بحرية ثقافية إلى تلك الحواضر[4]، إذ ارتقت الدراسات اللغوية والأدبية والعلوم العقلية من طب وصيدلة وغيرها[5].

وكانت العلاقات مدفوعة بعامل الجوار من جهة، ورابطة الإسلام من جهة أخرى، ولاسيما رابطة **الحج** الذي كان رابطاً قوياً زاد في فاعليته النشاط البحري من خلال

([1]) سيتم ذكر ذلك أثناء الحديث عن الناحية الدينية. **عبد الله: معطيات الحضارة المغربية**، ج:1، ص44.

([2]) **السائح**، الحسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط:2، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1986م، ص130.

([3]) **مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص188.

([4]) **عبد الله: معطيات الحضارة المغربية**، ج:1، ص39.

([5]) **بوعامر: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى**، ص18.

الرحلات من أجل أداء فريضة الحج، إذ أبحر الكثير من المسلمين لأداء فريضة الحج، وطلب العلم من مكة والمدينة[1].

وبذلك فإن رحلة الحج سواءً براً أم بحراً وفرت فرصة ثمينة امتزجت فيها الأفكار التي تبناها علماء المشرق بأفكار أهل المغرب العربي الإسلامي والأندلس، وتم من خلالها التعامل بين العلماء شخصياً بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات والمؤلفات، وتمت معرفة مدى توافق أفكار العلم وآرائه مع أقرانه من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى[2]، كما حصل مزيداً من التمازج الفكري بين العلماء بلقاء كبار علماء مكة والمدينة المنورة، ولا تكاد تخلو ترجمة عالم من علماء بلاد المغرب العربي الإسلامي من وجود شيوخ أخذ عنهم بمكة والمدينة، وكان ذلك من خصائص ونتائج رحلات الحجيج البحرية والبرية في المجال الثقافي[3].

كما أن تأسيس مدينة **فاس** 192هـ/808م في المغرب الأقصى[4]، كان حدثاً مهماً وفاتحة عهد جديد في تاريخ البلاد، إذ أضحت مدينة فاس من أهم الحواضر الثقافية في البلاد، ويقصدها العلماء والتجار من كل صوب، ويبدو واضحاً أهمية الدور الذي ساهمت مدينة فاس من خلال التمازج الحضاري بين القرويين الذي جاؤوا من القيروان وأسسوا فيها عدوة القرويين الذين بلغ عددهم ما يقارب الثلاثمائة أسرة، وبين الأندلسيين

([1]) **العراقي**، سيد أحمد: **تجارة القوافل بين الشمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984م، ص155.

([2]) **بالأعرج**، عبد الرحمن: **العلاقات الثقافية بين دولة بين زيان والمماليك**، كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م، ص111.

([3]) **القلصادي**، أبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1487م): **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987م، ص135.

([4]) **ابن أبي زرع**، علي بن عبد الله (ت720هـ/1320م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1972م، ص39.

الذين بلغوا ما يقارب ثمانية آلاف أسرة انتقلوا إليها إثر ثورة الربض[1]، وأسسوا فيها عدوة الأندلسيين، كما أن الأسواق التي انتظمت فيها المباريات الشعرية كانت من نتائج نهضة الأندلس التي حملها معهم الأندلسيين مجتازين البحر حيث تلاقت الأفكار وظهرت حركة علمية نشيطة في تصانيف ومؤلفات جديدة، وظهرت النتائج من خلال اعتناق علماء المغرب الآراء والمذاهب التي توافق البيئة المغربية الجديدة، فاختاروا من المذاهب **المذهب المالكي**، فاعتنقوه وأحبوه وهذا ما أدى إلى الدخول في حروب طاحنة عند ظهور الفاطميين بمذهب مخالف لما هم عليه[2].

وفي ضوء ما سبق، التحم المغرب العربي الإسلامي مع بلاد المشرق والأندلس علمياً واقتصادياً وفنياً من خلال الرحلات البحرية التي نشطت في ذلك الوقت، إذ تم الالتحام عن طريق أعلام اختاروا عن طواعية نشر العلم في جزء أو في أجزاء من المغرب العربي الإسلامي، وكانوا خير مثل للتبادل الثقافي العلمي[3]، كما أن المشارقة أخذوا العلم من أهل المغرب العربي الإسلامي في إطار ثقافي ميزه وجود عدة علماء وطلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد، وهذا ما سهل علمية الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي، وإطلاع كل شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي[4].

([1]) **الكتاني**، محمد: **فاس قطباً حضارياً في تاريخ المغرب**، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2009م، ص287.

([2]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص70.

([3]) **الزواودي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب**، ص333.

([4]) **ابن بطوطة**، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960م، ج:1، ص166.

ثانياً- أثر النشاط البحري في حضارة أهل المغرب العربي الإسلامي من الناحية الاقتصادية:

مما لاشك أن الطبيعة الجغرافية لبلاد المغرب العربي الإسلامي أعطت أهله المقومات الأساسية للقيام بدور بحري عسكري واقتصادي مهم، لاسيما وجود الساحل وامتداده على مسافة طويلة من سواحل برقة وطرابلس في الشرق وحتى سواحل المغربين الأوسط والأقصى حتى المحيط الأطلسي، وكثرة الخلجان والجزر التي تحمي هذه السواحل[1]، بالإضافة إلى موقعها المركزي في حوض المتوسط، كل ذلك عليها القيام بعمل بحري والتوجه إلى معرفة شؤون البحر والملاحة فيه، وامتد التأثير ليشمل الحياة الاقتصادية أيضاً[2]، وهذا ما سيتم ذكره.

وفي ضوء ما سبق يتبين أن امتداد الساحل المغربي أثر بشكل واضح في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكانه، كونهم تميزوا بالنشاط البحري الذي برز بشكل واضح عند إعلان بعض مناطق المغرب العربي الإسلامي الانفصال السياسي عن إحدى الخلافتين الأموية أو العباسية، فمارسوا نشاطهم البحري بهمة عالية وثقة لا يجاريهم فيها إلا المنافسين لهم من جهة الشمال–الشعوب المطلة على هذا البحر من الجهة الشمالية- وكانت الذروة لهذا النشاط خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي وتجسدت في احتلال جزر البحر المتوسط كمالطة وإقريطش وصقلية وكورسيكا وسردانية وجنوب إيطاليا[3]، ولكن على الرغم من ذلك تبقى المعلومات عن الحياة الاقتصادية لا تشفي الغليل، ولا تصور الحياة الاقتصادية أدق تصوير[4].

([1]) **أحمد**، نهلة شهاب: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت، لبنان، 2009م، ص9. **حسن**، حسن إبراهيم وحسن، علي إبراهيم: **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص203.

([2]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص48.

([3]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص49.

([4]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص78.

ولما كان النشاط البحري في حركة دائبة؛ فقد ظهر له أثراً على الحياة الاقتصادية، فكيف تجلى أثر النشاط البحري بالنسبة لسلوك أهل المغرب العربي الإسلامي من الناحية الاقتصادية؟

يمكن الإجابة على ما سلف من خلال التطورات التي طرأت على اقتصاديات المدن والمراكز الموجودة في بلاد المغرب العربي الإسلامي، إذ انتقلت المؤثرات الاقتصادية بين تلك البلاد، وذلك بفعل النشاط البحري مع الدول والمدن الأخرى المتوسطية، وما يتم تقديمه من أمثلة على سبيل الذكر وليس الحصر، لأن حصرها يحتاج إلى مجلدات ولا يتسع المقام لذلك. وفي سبيل تقديم برهان منطقي على مدى فاعلية ذاك النشاط في سلوك أفراد المجتمع المغربي العربي الإسلامي يمكن القول:

إن حجم النشاط الاقتصادي لمدينة **القيروان** ترجم حالة الرخاء الاقتصادي الذي وصلت له البلاد في ذاك الوقت، والدليل أن الواقع الاقتصادي المعاش في بلاد المغرب العربي الإسلامي ارتبط بالنشاط البحري الذي عززه وجود المراسي والمدن المغربية التي أصبحت مصدر نشاط فياض؛ **فالقيروان** غدت مركزاً تجارياً، يقصده التجار من مختلف المناطق، وأصبح جزء كبير من السكان يهتم بالتجارة، وبالتالي نشطت عمليات الاستيراد والتصدير، وزادت الثروات حتى تراكمت الأموال مما انعكس على عمليات الصرف، وأثر ذلك في سلوك أفراد المجتمع، بدليل أنه عندما قرر **إبراهيم بن أحمد بن الأغلب** (261-289هـ/874-902م)[1] التنازل عن الحكم سنة 289هـ/901م أعطى أعيان القيروان مبالغ ضخمة من أجل توزيعها على المحتاجين والمرضى، لكنهم بددوها، وقيل

(1) إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب، من أمراء الأغالبة أصحاب أفريقية، ولي أفريقية بعد وفاة أخيه سنة 261هـ/874م، حدثت في أيامه عدة ثورات فقمعها، غزا الإفرنج وافتتح كثيراً من معاقلهم. **الزركلي**، خير الدين: **الأعلام**- قاموس تراجم، الأجزاء: 8، دار العلم للملايين، ط:15، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج1، ص28.

في ذلك "انفقت في اللذات وصرفت في الشهوات"، ثم جاء أبو العباس واسترجعها إلى الخزينة[1].

وبالتزامن مع الوضع في إفريقية يجب الالتفات إلى بلاد **المغرب الأوسط** في عصر **الرستميين** الإباضية، إذ أسهمت التجارة –بما فيها نشاط بحري تجاري إن وجد– في تمازج ديني واجتماعي واقتصادي، والدليل في أن عائلات مزاتة طرابلس والجنوب التونسي ترددت إلى تاهرت، كونهم يتنمون إلى مذهب الخوارج، وأصبحوا وكلاء تجاريين نشطاء وساهموا في رحلات بحرية تجارية، وكذا قبيلة نفوسة، وشكلا معاً الدعم والسند للإمارة الإباضية في الغرب الأوسط، كما شغلوا مناصب مهمة في الإمارة[2]، وهذا ساهم بشكل ملحوظ في التطور الاقتصادي[3].

وعلى الرغم من أن تاهرت ضمت عدداً من القبائل، إلا أن المهاجريين المشرقيين إليها كان لهم دوراً مهماً سواءً من ناحية عدد الأفراد أو من ناحية النشاط الاقتصادي الذي تمت ممارسته، لاسيما الفرس الذين قدموا برحلات برية وبحرية، حيث انجذبوا لسلوك الإمام الطيب والثراء الذي تمتعت به تاهرت في نفس الوقت، واستقروا في المدينة التي سموها "عراق المغرب"، فشيدوا مساكنهم وفتحوا متاجرهم واجتمعوا مع أهل وطنهم، وعليه النشاط البحري ساهم في خلق تمازج اجتماعي ليس فقط ثقافي أو ديني[4].

وحدث تغيير واضح في حياة المجتمع الرستمي من الناحية المعمارية بدخول تلك العناصر من الأثرياء والتجار الكبار الذين عبروا البحار تجاراً، فظهرت حركة عمرانية معتبرة تتمثل في بناء القصور والمساكن الجميلة بعد أن كانت تبنى من الطوب والخشب

([1]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص98. **حسن: النظم الإسلامية**، ص205.

([2]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص128.

([3]) **عبد الحفيظ**، منصور: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية**، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1404هـ/1984م، ص123.

([4]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص130.

وما إلى ذلك من المواد البسيطة[1]، كما ساهم توافد الأندلسيين إلى تنيس 262هـ/876م، ووهران 290هـ/903م، في خلق تمازج ثقافي واجتماعي[2].

ولم يكن النشاط الاقتصادي في **المغرب الأقصى** المتزامن مع ظهور الأدارسة مماثلاً لمدينة **فاس** التي أنشأت سنة 192هـ/808م، ففي البداية اعتمد على بلديات صغيرة يتحدد فيها النشاط الاقتصادي[3]، وأعطوا لقب **سوق** لاثنين من المراكز في البداية وهما: سوق إبراهيم في وادي شلف، وسوق حمزة الذي أسسه حمزة بن الحسن في سهل حمزة، ثم أصبح بناء المدن حول السوق ما هو إلا تطور طبيعي لتطور الحياة التجارية، وعليه ساهم الأدارسة في نهضة المغرب الأقصى في تلك المرحلة[4].

ولما تم إنشاء فاس في عهد الأمير إدريس الثاني سنة 192هـ/808م، أصبح فيما بعد النشاط الاقتصادي مظهراً من مظاهر التأثير الأندلسي بسبب الوفود الأندلسية والهجرات المتتالية، لاسيما في ميدان **التجارة والاقتصاد**، وما يزال إلى الوقت الحاضر في فاس بعض الأعراف والتقاليد والاتجاهات التي يرجع أصلها إلى هؤلاء المهاجرين الأندلسيين، ومنها: الاقتصاد في الإنفاق، واكتناز الأموال[5].

ولما تميزت حضارة تلك المنطقة بتعدد الفاعلين في إنتاجها، واتسمت بالتوازن، فهذا يعني أنه كان هناك مؤسسات وآليات تحكمت في تنسيق الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المنتجة، ووحدتها في تعايش وشراكة تضمن المصالح للجميع، ولهذا تميزت فاس وأصبحت مثالاً يحتذى به بالنسبة لباقي مناطق المغرب العربي الإسلامي[6].

([1]) **عبد الحفيظ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية**، ص16-74.
([2]) **بلعربي: المسالك والدروب وأثرها**، ص52.
([3]) **ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس**، ص39.
([4]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص139.
([5]) **عبد الله: معطيات الحضارة المغربية**، ج1، ص42.
([6]) **الكتاني: فاس قطباً حضارياً**، ص289.

وبقيام الفاطميين في بلاد المغرب العربي الإسلامي فرضت عليهم الحروب البرية **والأنشطة البحرية** والاستعداد لها، أن يعملوا على تمويل الخزينة الفاطمية، وهذا ما جعل عبد الله المهدي (297-322هـ/909-934م)[1] منذ أن استولى على عاصمة الأغالبة يماطل أهل القيروان بشأن أموالهم على الرغم من أنه طمأنهم على حياتهم في بادئ الأمر، فخافه أهل العقل من ذلك الوقت، إذ قام باستغلال موارد البلاد من أجل تمويل الحملات، هذه **السياسات الاقتصادية المرتبطة بالنشاط البحري** بشكل أو آخر، جعلت موظفو السلطة يجدون الوسائل لجعل سلطان الفاطميين غير محتمل، ومكروهاً حتماً، وأدت تجاوزات قبيلة كتامة إلى عدم شعبية للفاطميين، واشتركوا فيما بعد بمؤامرة للتخلص من عبد الله المهدي، ولأنه كان يعتمد عليهم في الجيش ولامتصاص غضبهم سمح لهم بسلب القيروان سنة 299هـ/911م، وروى ابن عذاري أن تجار السوق بالمدينة قتلوا أكثر من ألف من كتامة، وأمر حاكم المدينة أحمد ابن أبي خنزير بإخفاء جثثهم، فطرحوا بالمراحيض[2].

هذه العمليات تركت أثرها في سلوك وذهنيات أهل كتامة، فانتفضوا ضد الفاطميين، وشاركوا في ثورة سيطرت على منطقة الزاب بأكملها، إلا أن تمكن من إخمادها محمد القائم بأمر الله سنة 300هـ/912م، وكان عدم طاعتهم يثير قلق الفاطميين دون شك[3].

([1]) أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، اختلف كثيراً في أصله ونسبه، استتر هو وأهله خوفاً من خلفاء بني العباس، وكانت ولادة عبيد الله المهدي سنة تسع وخمسين ومائتين للهجرة، بمدينة سلمية، وقيل بالكوفة، وتوفي بمدينة المهدية العاصمة التي بناها سنة 303هـ/915م. **القاضي النعمان**، النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد (ت363هـ/974م): **الأرجوزة المختارة**، تح: اسماعيل قربان وحسين بونا وآلا، مونتريال، ط:1، 1970م، ص192. **ابن خلكان: وفيات الأعيان**، ج:3، ص117-119.

([2]) **ابن عذاري: البيان المغرب**، ج:1، ص191.

([3]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص170.

وبالتالي كانوا مضطرين للحصول على الأموال اللازمة من بلاد البربر، ولم تكن حملات القرصنة والسلب على الشواطئ المسيحية إلا لتحقيق هذه السياسية[1]، ومما سلف يستدل أن السياسية الضريبية التي اتبعها الفاطميون كانت بدافع تمويل الخزينة من أجل القيام بأعمال حربية سواءً برية أو أنشطة بحرية، وهنا برز الأثر في سخط الأهالي من هذا العبء الذي فُرِض عليهم نتيجة التزامهم بطريق معين، ومسار مكلف، أدى إلى عرقلة حرية ممارسة الحج.

كما كان للنشاط البحري أثراً لا يمكن إغفاله على الحياة الاقتصادية في جزيرة صقلية، عندما عانت بلاد أفريقية من مجاعة هائلة حوالي سنة (395هـ/1005م)، إذا ترك الناس بلاد إفريقية بعد أن خلت البوادي، وخلت الأسواق، وعدمت البهائم، وضاقت الأرض بما رحبت، فما كان من الناس إلا أن ركبوا مراكبهم، ويمموا وجههم شطر صقلية، وسارت المراكب حاملةً جموع اللاجئين من عامة القوم وخاصتهم، ومن سكان الحواضر والبوادي، ولما تقبل أمراء صقلية هذه الجموع الغفيرة على الرحب والسعة، وأفسحوا لهم مكان العيش، ويسروا لهم أسباب الارتزاق، اختلت عليهم موازيين الاقتصاد وتأثروا دون شك بما حملته هجرتهم من تبعات ونتائج، أي أن النشاط البحري الذي كان له أثراً إيجابياً في إنقاذ أهل إفريقية، ترك أثراً سلبياً على أهل صقلية، إذ عانوا أيضاً من ضيق في الحياة الاقتصادية، ونقص في الموارد[2].

وفيما بعد، ولما كانت الرحلات البحرية الاقتصادية والعلمية نشطة بين بلاد المغرب العربي الإسلامي والمشرق الإسلامي، فقد ترك ذلك العمل أثره في خبرة أهل البلاد التي كانت تقوم بالملاحة في البحر المتوسط، وبرهان ذلك أنه زادت خبرتهم بشؤون البحر والملاحة فيه، كما ترددت السفن ما بين مدن الأندلس والمغرب العربي الإسلامي، وما بين ثغور المغرب والإسكندرية والشام[3].

([1]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص165.

([2]) **المدني: المسلمون في جزيرة صقلية**، ص145.

([3]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص62.

ثالثاً- أثر النشاط البحري في حضارة أهل المغرب العربي الإسلامي من الناحية الدينية:

مما يجب الالتفات إليه أن معظم الأعمال البحرية كانت مدفوعة بالعامل الديني، أي الأثر الديني وهو الجهاد في سبيل الله تعالى كان الدافع وراء القيام بالأنشطة العسكرية المتمثلة بالفتوحات، والأنشطة البحرية المتمثلة بالغزوات البحرية، وللتوضيح يمكن القول:

إن الفتن العنيفة التي تعرضت لها بلاد إفريقية والمغرب العربي الإسلامي، والتي جعلت منهما مسرحاً دامياً خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، جعلت أهل البلاد يركنون إلى الهدوء والعزلة، وسادت نزعة شديدة للتفقه في الدين، ولم تلبث بلاد إفريقية أمام تلك التطورات أن تحولت إلى بلد عربي إسلامي يغلب عليه التفقه في الدين الإسلامي[1]، وتنازل الخلفاء العباسيون عن محاولة السيطرة على ثلثي بلاد البربر، وقامت الدويلات المنفصلة التي دانت بمذاهب مختلفة، وصبغتها العلاقات العدائية، ولكن بالرغم من ذلك فإن اشتراكها في الأصل الشرقي لمؤسسيها الذين شجعوا على وصول نخبة من أبناء جنسهم للحكم، وخلقوا تياراً متصلاً مع أهل المشرق الذي جاؤوا منه، وكما سلف الذكر أن الرحلات البحرية كانت نشطة من أجل تلقي العلم والثقافة، وبالتالي فإن أغلب علماء أفريقية كانوا من أصل مشرقي، والبعض الآخر رحل إلى المشرق، وهذا رسخ اتصال المغرب العربي الإسلامي بعالم الإسلام في المشرق، ويسر انتشار الإسلام بين أبناء المغرب العربي الإسلامي[2].

والمعلوم أن بلاد المغرب العربي الإسلامي لم تصبح بلاداً إسلامية بالمعنى المطلق فوراً، إلا أن الإسلام ظهر في كل مكان، وتغلغل في السكان الذين لم يخضعوا بعد، في صورة المذهب السني أو الخارجي[3]، وبشكل خاص ساد المذهب السني المالكي الذي

([1]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص75.

([2]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، ص40.

([3]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص62.

يتفق مع الروح السائدة لأهل تلك البلاد[1]، وظهر عدد من الفقهاء الذين كان لهم أثراً كبيراً من حيث غلبة الروح الدينية – هؤلاء الفقهاء كان منهم من تلقى العلوم في المشرق على يد الإمام مالك نفسه[2]– وغلبت المسائل الفقهية على الأذهان، والاتجاه إلى الزهد[3]، كما شهد القرن التالي– الثالث الهجري/التاسع الميلادي– مرحلة تفاعل ديني شديد في بلاد البربر، وخاصة في القيروان، وإتمام عملية انتشار العقيدة وانتشار الإسلام في مواقع جديدة – صقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا– بفضل النظام العربي الإسلامي الذي أقيم في البلاد، ومنذ ذلك الوقت أخذ المذهب السني في شمال أفريقية والمغرب العربي الإسلامي الشكل الذي احتفظ به إلى يومنا[4].

وغدت المرابطة في الأربطة والمحارس هي الترجمة لذاك الدافع، حتى شغلت روح المرابطة والجهاد قبائل بأسرها، وهذا لا يعني أن الحرب اختفت، بل أخذت مظهراً جديداً، ولم تعد هجمات الخوارج ذات أهمية وتأثير كبير، وكانت علاقاتهم الدينية المختلفة مع المذاهب الخارجية التي كانت موجودة، لا تبدو عدائية لأنهم تحالفوا فيما بعد معهم ضد أعدائهم الفاطميين، وكان أمراء البلاد يسعدون إذا ما تم التحالف مع أي مذهب طالما أنه يحقق مصالحهم[5].

كما استنفر الأمير في إفريقية القبائل للجهاد البحري من خلال الدين، فخير دليل على الأثر المتبادل بين النشاط البحري والأمور الدينية أن الأمير الأغلبي **زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب** (201–223هـ/816–837م) نجح في الضرب على وتر الشعور الديني لأبناء إفريقية، من خلال اختياره للفقيه **أسد بن الفرات** قائداً للحملة على صقلية،

([1]) **أبو زهرة**، محمد: **مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه**، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص343.

([2]) سلفت الإشارة إلى سحنون والفقيه أسد بن الفرات الذين رحلوا إلى المشرق من أجل طلب العلوم الدينية.

([3]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص40.

([4]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص62.

([5]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص103.

وكما هو معلوم أن الشعور الديني وإعلاء كلمة الله الدافع الأساسي في الفتوحات والأعمال البحرية التي قام بها المسلمون منذ عصر الرسول الأكرم محمد ﷺ، وهنا من أجل أن يكسب الحملة الشرعية المطلوبة والتأييد اللازم اختار الفقيه أسد قائداً للحلمة، وبالتالي ليس بعيداً أن تكون الفتوحات البحرية مدفوعة بعامل جهادي ديني، فكان ذاك العمل ضمن السياسة الدينية للأغالبة، وبالتالي زاد تفقه الأهالي في الدين، وزاد حبهم له بسبب ولائه لقضية الإسلام[1].

ومن ناحية أخرى كان النشاط البحري سبيلاً للتخلص من قيام العناصر الثائرة وإشغالها عن الثورات، كما حصل عندما أشرك **زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب** البربرَ في الحملة المعدة لغزو صقلية في سبيل إشغالهم بمقاتلة الروم عن التفكير في الخروج عليه، ومحاولة وضع حد للاعتداءات والاضطرابات التي كانت تحدث بين عناصر المجتمع في ذاك الوقت[2].

وبقي أن يتم التنويه على طبيعة المذهب الذي كان يؤيده علماء القيروان من الأغالبة في ذاك الوقت؟ وأثره على سلوك أفراد المجتمع الإفريقي الإسلامي؟

لم يكن مذهب الخوارج مادة جدال بالنسبة لفقهاء القيروان السنة، بل كانوا يتحزبون ضد مذهب **المعتزلة**[3]، وذهبوا إلى أبعد من ذلك عندما كفّروا المعتزلة، واستباحوا

([1]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص101. **كاشف: تاريخ مصر الإسلامية**، ص246. **المدني: المسلمون في صقلية**، ص56.

([2]) **سالم: تاريخ البحرية الإسلامية**، ص102.

([3]) **المعتزلة:** من أضخم وأكبر المذاهب الفكرية والفلسفية الإسلامية، ويتفق كثير من المؤرخين على أن نشأتها تعود إلى بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وانطلقت حركة هذا المذهب من البصرة، وسمي أصحابه بالمعتزلة لأنهم اعتزلوا أصحاب الرأيين في قولهم عن مرتكب الكبيرة، فاعتزلوا واستقلوا عنهم بقولها أنه في منزلة بين منزلتين. وتتلخص معتقدات المعتزلة في :1- المنزلة بين منزلتين، 2- نفي الصفات، 3- القدرة، 4- خلق القرآن. وللمزيد عن مذهب الاعتزال. راجع: **ابن الصغير**، المالكي (ت281هـ/895م): **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.ت). ص82.

دماءهم وأموالهم، وقرروا أن لقاتليهم الزلفى عند الله تعالى، إذ روى محمد بن يحيى أحد علماء أهل السنة أنه أفتى قائلاً: "من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج من الإيمان، وبانت منه إمرأته[1]، يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فيئاً بين المسلمين، ولم يدفن في مقابرهم"[2].

ولكن ما علاقة ذكر موقف أهل المجتمع في إفريقية من مذهب الاعتزال، والمعلوم أن هذا المذهب ظهر في بلاد المشرق، وفي مدينة البصرة في العراق على وجه التحديد؟

إن العلاقة بين مذهب الاعتزال وذهنيات أفراد المجتمع في أفريقية والمغرب العربي الإسلامي تظهر من خلال اعتناق الأمير **زيادة الله الثاني** الأغلبي مذهب الاعتزال، فقد أعلن عن نفس المعتقدات في القيروان، كما أنه عيَّن أبي محرز الجاهر بمذهبه الاعتزالي بوظيفة القاضي، ولكن الشعب الإفريقي لم يشارك الأمير هذه المعتقدات، وكانوا يرمون نعش أحد العلماء بالحجارة إذا ما شكوا أنه من المعتزلة، وفي إطار السنة فإن الناس والعلماء كانوا أكثر تمسكاً بالمذهب المالكي، ورفضاً للمذاهب الأخرى[3]، وهذا ما سيتم ذكره.

وهذا النموذج من المذاهب مستورد من العراق، فكيف يتم استيراده لولا الرحلات البرية والبحرية التي تمت في ذاك الوقت؟ وعليه يبدو أثر النشاط البحري والرحلات في انتقال المذاهب الفقهية، وبالتالي التزام أهل المغرب العربي الإسلامي بنمط معين من السلوك والذهنية الإسلامية.

([1]) **بانت منه إمرأته:** حرمت عليه.

([2]) **الربيعي: تاريخ المعتزلة، الربيعي،** فالح: **تاريخ المعتزلة (فكرهم وعقائدهم)**، الدار الثقافية للنشر، ط:1، القاهرة، مصر، 1421هـ/2001م، ص31.

([3]) **كاشف: تاريخ مصر الإسلامية،** ص247. **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها،** ص102-104.

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول: إن بلاد البربر عرفت اثنين من المذاهب الفقهية الأربع التي تكونت في بلاد المشرق الإسلامي، وهما المذهب الحنفي: مذهب مدرسة العراق، والمذهب المالكي: مذهب مدرسة المدينة، وكان الفرق بينهما يعتمد على الميول التي وضعها المؤسسان لكل مذهب من المذاهب في **استخدام القياس** الذي كان يرتضيه المذهب الحنفي، أو **احترام التراث** الذي يتمسك به المذهب المالكي، ورغم أن المذهبين من السنة والفارق بينهما فارق فكري، إلا أن المقت كان واضحاً بين أنصار المذهبين، وكان المالكيون يرفضون الاشتراك في الصلاة إذا كان الإمام من أنصار المذهب الحنفي، ومع ذلك فقد بقي الحماس الديني اتجاه المذهب المالكي هو السائد في ذاك الوقت[1].

وكان للنشاط البحري أثره في دولة الرستميين الإباضية في تاهرت، إذ أن السياسة المتبعة من قبل حكام الدولة الرستمية في تاهرت كإقامة العدل وعدم التمييز بين الغرباء شكلت دافعاً لأصحاب الأموال من أجل الإبحار إليها محتفظين بمذاهبهم التي حملوها معهم فمنهم من كان على المذهب المالكي الذي انتشر على حساب المذهب الإباضي، وبقي البعض الآخر على المذهب الحنفي، وفريق آخر على المذهب المعتزلي، واعتنق بعضهم المذهب الإباضي وهو المذهب الرسمي للدولة[2].

والمتصفح لتاريخ الإباضيين في شمال أفريقيا يجد أنهم قاموا بدور معتبر في تبصير المغاربة بالفقه والعقائد الإسلامية والأصول الفقهية التي لم تكن منتشرة بشكل راسخ قبل دخول المذهب الإباضي إلى هذه الديار، وهذا لا يعني عدم رسوخ المبادئ الإسلامية في أذهان أهل المجتمع الإفريقي كأركان الصلاة والصوم والزكاة وغيرها، ولكن المذهب الإباضي ساهم في تعميق العقائد والأصول الفقهية والفلسفية في بلاد المغرب الإسلامي،

([1]) **الزواودي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب**، ص55.

([2]) **عبد الحفيظ: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في دولة الرستميين**، ص73-74.

ساهم في تحقيق الرحلات والبعثات العلمية البرية والبحرية التي وفدت من بلاد المغرب إلى بلاد المشرق الإسلامي للدراسة والتعمق في أصول المذهب الإباضي[1].

وبالنسبة **للأدارسة** في **فاس**، فيبدو أن الطابع الديني لهم أقل وضوحاً من الطابع الديني للرستميين، فلم يشهد انتشار الإسلام مكانة متفوقة على العكس من الثقافة العربية التي نجحوا في نشرها، وتوحيد القبائل البربرية تحت لوائها، فهل طبيعة المذهب الديني للأدارسة هي السبب في عدم وضوحه؟

يبدو أن طبيعة الصراعات المذهبية التي سادت إقليم المغرب الأقصى تلك المرحلة، والتي تصدت لحكام البلاد جعلت من المغرب الأقصى مسرحاً للانفصال الديني المعلن، كما لم يثبت بالدليل أن الأمراء الأدارسة كانوا يتبنون المذهب الاعتزالي على الرغم من أن البكري ذكر أنه "عندما نزل إدريس على اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوروبي المعتزلي تابعه على مذهبه سنة 172هـ/788م"[2].

ثم ظهر المذهب الفاطمي بمعتقداته وآرائه في بلاد المغرب العربي الإسلامي، فماذا بالنسبة **للمذهب الفاطمي الشيعي**؟ وكيف كان الموقف المالكي منه؟

اتبع عبد الله المهدي (297-322هـ/909-934م) سياسة دينية صارمة، فمنذ وصوله إلى أفريقية وفي نهاية صلاة الجمعة، وقف واحد من رجاله محاطاً بأتباعه الفاطميين، وأجبروا المصلين على حضور جلسة شرحوا فيها مذهبهم، وقاموا بفرض

([1]) **الدرجيني**، أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلايي، مطبعة البعث، قسنطينة، (د.ت)، ج1، ص11. **الجابري**، محمد الصالح: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م، ص15 وما بعدها.

([2]) **البكري**، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ/1095م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** (جزء من كتاب المسالك والممالك)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق، (د.ت)، ص118.

بعض التعليمات بألا تعطى استشارات، ولا تحرر العقود، إلا طبقاً للمبادئ المعترف بها لدى الفاطميين[1]، وقام بمعاقبة الموظفين الذين يجهرون بالسنة علناً[2].

ويجب أن لا يتم إغفال مدى المقاومة – مقاومة الفقهاء المالكيين– التي تصدت لهذه الأوامر؛ ففي عهد القائم بأمر الله الفاطمي 322–334هـ/934–945م، تشبعت نفوس الأفراد، وامتلأت بالكره **للمذهب الفاطمي الشيعي** في بلاد **إفريقية** و**المغرب العربي الإسلامي**[3].

ويستدل مما رواه المالكي عن العدد الذي تم قتله على أيدي الفاطميين، إذ قال: "الذين ماتوا من حين دخل عبد الله المهدي إلى الآن أربعة آلاف رجل"[4]، وبالرغم من أن الرقم لا يخلو من مبالغة، لكن يصور مدى شعور العصيان والسلوك المناوئ الذي ساد أهل أفريقية والمغرب العربي الإسلامي في تلك المرحلة.

وبالتالي ازداد نشاط الفقهاء المالكية، وكان للمالكية دور كبير في محاربة الدعوة الفاطمية، فعمل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر على استغلال ذلك مستخدماً **أساطيله** في إرسال المدد والأموال إلى علماء المالكية من أجل توزيعها على الفقهاء لمحاربة المذهب الشيعي والدعاية الفاطمية هناك، وفي سبيل ذلك أرسل الناصر **عشرة آلاف** دينار من أجل توزيعها والاستفادة بها[5].

([1]) **ابن الأثير**، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، تح: أبي فداء عبد الله القاضي، الأجزاء:12، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م، ج:6، ص459.

([2]) **ابن عذاري: البيان المغرب**، ج:1، ص200.

([3]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص162.

([4]) **المالكي: رياض النفوس**، ج:2، ص345.

([5]) **كاشف: تاريخ مصر الإسلامية**، ص248.

ولما قامت الخلافة الفاطمية بمذهبها الشيعي، وما رافق ذلك من قيام الحاكم عبد الله المهدي باحتلال إفريقية مستخدماً **أسطوله** وجيشه، فإن ذلك ترك أثراً على أهل المغرب العربي الإسلامي ذوي المذهب المالكي، وأثّر في سلوكهم، وخير دليل يمكن ذكره هنا:

ما تم نقله عن المالكي في كتابه رياض النفوس، حيث ورد تعقيباً على احتلال المهدي لأفريقية أن فقيهاً مالكياً يدعى **جبلة**[1]، ترك رباطه بقصر الطوب الذي كان يرابط فيه ضد الروم البيزنطيين، وأقام في مدينة القيروان، فقيل له: "أصلحك الله، كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترابط، فتركت الرباط والحرس، ورجعت إلى هاهنا!؛ فقال: كنا نحرس عدواً بيننا وبينه البحر، فتركناه وأقبلنا نحرس الذي حلَّ بساحتنا، لأنه أشد علينا من الروم"[2]. وهذا ما يدل على الأثر البالغ الذي تركه نشاط الفاطميين البحري والعسكري في سلوك أفراد المجتمع المغربي السني.

وتم فرض هذا المذهب على فقهاء المالكية، بعد أن جلبوهم وجادلوهم فلم يقتنع فقهاء المالكية بذلك، ثم عمدوا إلى إغداق الأموال عليهم، ولما رأوا تعصب المالكية لمذهبهم، انقلب الفاطميون عليهم وقاموا بتعذيب الفقهاء المالكيين، وضربهم بالسياط، ومصادرة أموالهم[3].

وبالتالي فإن نشاط الفاطميين ودعوتهم تركت أثرها في فقهاء المالكية الذين استمروا في التصدي للدعوة الفاطمية الشيعية، فانقلب الأمر وبالاً عليهم، ومنهم الفقيه القرطبي **يحيى بن عمر** (ت289هـ/901م) إذ روي أنه استوطن مدينة القيروان، وكان شديد التعصب للمذهب السني، كارهاً للبدع حاملاً عليها، وكان يعتز كل الاعتزاز بولائه لبني

(1) **مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص93.
(2) **المالكي: رياض النفوس**، ج:2، ص37.
(3) **محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقية**، ص158.

أمية[1]، وهذا ما جعل الفقهاء من بني أمية أكثر عرضة للاضطهاد الفاطمي وخاصة في أرض المغرب العربي الإسلامي[2].

كما أنه في سنة (300هـ/912م) قُبِض على أحد أبناء التجار الأندلسيين، وهو أبو جعفر **محمد بن خيرون**، وتم قتله على يد الفاطميين بعد أن تبينت ميوله السنية[3]، إذ ظهر أنه يقوم بتسريب المعلومات إلى الأمويين في الأندلس، وكان خيرون من كبار أغنياء القيروان وقد تم قتله بتدبير من القاضي الشيعي المروزي[4].

وورد في كثيراً من أخبار الاضطهاد الذي مارسه بعض الفاطميين خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ضد بعض أهل السنة المالكية بأفريقية، وامتحنوا امتحاناً شديداً بسبب مواقفهم[5].

ويلاحظ أن الأعمال السياسية والعقائدية التي قام بها الفاطميون تجاه الخلافة الأموية والتي تمثلت في بث الدعاة الفاطميين بين أوساط الجمهور الأندلسي السني، ودعم الثوار، وتحريض الناس على الثورات أثرت في بلاد الأندلس الإسلامية، بعد أن رأى الخليفة الفاطمي أن من واجبه المقدس أن يزيح "العدو اللعين" و"المغتصب الكافر" عن العرش ويعيده إلى أصحابه الشرعيين[6]، وبالتالي ظهرت نفوس أندلسية بذهنيات ممتلئة بالحقد والكره للفاطميين، وهذا ما عبر عنه ابن عذاري بقوله عن الناصر سنة

([1]) **المالكي: رياض النفوس**، ج:1، ص490.

([2]) **رمضان: النشاط التجاري بالأندلس**، ص136.

([3]) **عاد: أوضاع الدولة الفاطمية وعلاقاتها**، ص92. **مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس**، ص113.

([4]) **الفيلافي: العلاقات السياسية**، ص135.

([5]) **رمضان: النشاط التجاري بالأندلس**، ص137.

([6]) **شعثان**، سمية وحميدة عطفاوي: **نشاط الجيش الفاطمي بالمغرب من خلال كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 1441هـ/2020م، ص59.

(344هـ/956م): "أمر بإطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس، وإنفاذ كتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار"[1].

واستمرت المشاحنات بين الطرفين، كما استمر اللعن من الجانبين على منابر جامعي قرطبة والمنصورية، وعلى الرغم مما سلف ذكره، فإن المذهب الشيعي لم يلق الرواج في تلك البلاد، ويمكن القول أن مرد ذلك يعود لسببين أساسيين وهما:

1- استبداد الفاطميين نحو رعاياهم، وتلقين شعائرهم الدينية بقوة، وعدم الاحتراس في ذلك.

2- نوعية أهل إفريقية والمغرب الإسلامي بشك عام، كالقيروان التي كانت حاضرة المذهب السني والدعمة له، والتي كانت وفية للتعاليم السنية التقليدية، وسرعان ما عادت إلى سابق عهدها[2].

ومثلما كان الأمر بالنسبة للأندلس التي استقبلت الفارين من بطش الخلافة الفاطمية فإن المغرب العربي الإسلامي استقبل الوافدين الفارين من بطش الأمويين في الأندلس، وخاصة إذا تم إثبات الميول الفاطمية الشيعية، ومثل ذلك الشاعر **محمد بن هانئ الأندلسي**[3] الذي يعد من الشخصيات الأندلسية التي فرت من الأندلس إلى المغرب العربي الإسلامي بسبب ميوله الإسماعيلية إلى ابن حمدون، وبهذا تجلت سياسة الفاطميين ضد الأمويين، فالتحق بخدمة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي (341-

---

([1]) **ابن عذاري: البيان المغرب**، ج:2، ص203.

([2]) **مارسيه: بلاد المغرب وعلاقتها**، ص188.

([3]) **محمد بن هانئ الأندلسي (632هـ/973م)**: يكنى أبا القاسم، كان متهماً بمبدأ الفلاسفة، ولما اشتهر بذلك نقم عليه أهل إشبيلية فخرج إلى المغرب، ولقي جوهر مولى المنصور الفاطمي فامتدحه، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابنا علي بن حمدون، وكانا بالمسيلة، ولما توجه المعز إلى الديار المصرية شيعه ابن هانئ، ورجع إلى المغرب لأخذ عائلته واللحاق به، ولكنه لقي حتفه عند برقة بصورة غامضة. **ابن خلكان: وفيات الأعيان**، ج:4، ص421. **بالنثيا**، آنخل جنثالث: **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1955م، ص64. **الزركلي: الأعلام**، ج:7، ص130.

365هـ/952-975م)، كما مدح الخليفة في أبيات شعرية تعد وثيقة مهمة للنظريات الإسماعيلية، يضاف إلى ذلك أنه وصف الاسطول الفاطمي على عهد الخليفة المعز لدين الله[1].

والملاحظ أن أطماع الأمويين السنة في الاستيلاء على ملك الفاطميين ظهرت في كثير من سلوكيات أفراد المجتمع المغربي العربي الإسلامي في تلك المرحلة؛ والدليل فيما روي في سنة (395هـ/1005م)، أنه قامت في إقليم **برقة** ثورة سنية خطيرة ضد الخليفة الفاطمي **الحاكم بأمر الله** الفاطمي، وقام بتلك الثورة أحد أفراد البيت الأموي، ويسمى **الوليد بن هشام** من ولد المغيرة بن عبد الرحمن الداخل، ولقبه "**أبي ركوة**"[2]، وهذا الثائر خرج من الأندلس وأظهر التصوف والعبادة، ولما قوي أمره بالمغرب الإسلامي دعا باسم الخليفة الأندلسي هشام المؤيد (366-403هـ/976-1021م)، ولقيت دعوته قبولاً حسناً في نفوس البدو من أنحاء برقة، واستطاع أن يحرز النصر على الجيوش التي أرسلها إليه **الحاكم بأمر الله الفاطمي**، وبسط سلطانه على برقة سنة (395هـ/1005م)، كما أنه تلقب بلقب الثائر بالله، وضرب السكة باسمه، وأظهر الرفق والعدل في معاملة أهالي هذه الولاية[3].

وفشل الجيش الذي عدته خمسة آلاف فارس بقيادة "**ينال الطويل**" التركي، حيث أرسله الحاكم بأمر الله الفاطمي من أجل إخماد الثورة، وبعد ذلك تطلع أبي ركوة إلى احتلال مصر، ولما شعر الحاكم بفداحة خطر أبي ركوة على مصيره وحكمه في مصر أرسل جيشاً ضخماً من الجنود الشامية والغلمان الحمدانية تحت قيادة **الفضل بن عبد الله** سنة (296هـ/1006م)، والتقى الفريقان، فارتد الفضل إلى القاهرة، مما سمح

([1]) للمزيد عن الشاعر ابن هانئ راجع: **الأندلسي**، ابن هانئ (ت362هـ/972م): **ديوان ابن هانئ الأندلسي**، تح: أكرم البستاني، بيروت، لبنان، 1952م. **ابن خلكان: وفيات الأعيان**، ج:4، ص421.

([2]) سمي بذلك لأنه كان يحمل ركوة (وعاء من الجلد)، وذلك من أجل وضوئه على عادة الصوفية. **سرور: سياسة الفاطميين الخارجية**، ص223.

([3]) **سرور: سياسة الفاطميين الخارجية**، ص223.

لأبي ركوة أن يطارد جيوش الفاطميين حتى أهرام الجيزة، إلا أنه انهزم فيما بعد، وتم أسره من قبل القائد الفضل بن عبد الله، وقام الحاكم بقتله وصلبه سنة (397هـ/1007م)[1].

كما أن الآثار السنية المعادية للفاطميين تجسدت في مناطق نفوذ الفاطميين في المغرب الأدنى، وظهرت في سلوك **المعز بن باديس** الصنهاجي، ملك الدولة الزيرية، والمعلوم أن الدولة الزيرية الصنهاجية كانت من المؤيدين للفاطميين، فما الذي حصل؟

قام أمير الدولة الزيرية، بالفتك بالفاطميين في ولايته سنة (408هـ/1017م)، و مرد ذلك لسبب وجيه: أن المعز بن باديس وقع تحت تأثير أحد الفقهاء السنة المالكيين، وكان تولى تربيته منذ صغره، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي وترك ما دونه، وكان هدفه المنشود من ذلك أنه أراد تحقيق الانفصال عن الدولة الفاطمية[2].

والدليل فيما ذكره ابن خلكان عندما ترجم للمعز بن باديس الصنهاجي قوله: "فحمل المعز المذكور جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس، رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب الأخرى، واستمر الحال في ذلك إلى الآن"[3].

إذاً من خلال ما سلف يتبين أن النزاع الذي كان في ظاهره بين الفاطميين في المغرب العربي الإسلامي والأمويين في الأندلس ما هو إلى صراع الذهنيات التي اعتنقت مذاهب مختلفة (الشيعي والسني)، تلك الذهنيات التي كانت سائدة في ذاك الوقت في المجتمع المغربي الإسلامي وأدارته، إذ كان المذهب المالكي منتشراً في القسم الغربي من العالم الإسلامي، والتقاليد المالكية غالبةً على أهل البلاد، تلك التقاليد التي تنضوي على فقه

(1) **المقريزي: اتعاظ الحنفا**، ج:2، ص64-65.
(2) **العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص85.
(3) **ابن خلكان: وفيات الأعيان**، ج:5، ص234.

الإمام مالك والعلوم المساعدة التي تخدم هذا الفقه، وتساعد على فهمه[1]. هذا كان بالنسبة للمذاهب المتقاربة، فكيف موقفهم اتجاه المذهب الفاطمي الشيعي الذي قام على مبادئ تخالف مذهبهم اختلافاً جوهرياً؟

كانت نفوس أهل المغرب العربي الإسلامي مليئة بالنفور من المذهب الفاطمي الشيعي، وبالتالي أثر ذلك على سلوكهم وجعلهم يحشدون طاقاتهم ضد الفاطميين أصحاب المذهب المخالف لهم، ولم يبق الأمر ضمن حدود العقليات المتنافرة وسلوكيات الحرب الباردة بين الطرفين، بل تطور إلى صدام مسلح سنة 344هـ/955م، وهذا ما سلف الإخبار عنه.

6- الخاتمة:

ختاماً يمكن القول بأن: ما كادت العصور الوسطى أن تنقضي، ويبزغ فجر العصور الحديثة حتى تولدت عن تفاعلات حضارات المغرب العربي الإسلامي مع بلاد المشرق الإسلامي والأندلس حضارة موحدة تطبعها روح واحدة متأثرة بالتراث الشرقي، اكتنفتها روح عربية إسلامية أصيلة، وتقاليد عربية إسلامية بألوان محلية تجمع بين طرافة المظهر ومتانة الخبر، على الرغم من الخلافات المذهبية لأنه لابد من تفضيل المصلحة الاقتصادية على الخلافات العقائدية وهذا ما حصل في كثير من الأحيان، وأشارت إليه المعلومات التاريخية الاقتصادية والجغرافية، كل ذلك ساهم في وجوده أحد عناصر وجود الحضارة وهو **النشاط البحري** الذي كان حاضراً بدور فاعل ومؤثر في كل حدث، وعلى جميع الأصعدة.

([1]) **عوض الله**، الشيخ الأمين محمد: **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الخرطوم، 1396هـ/1976م، ص167.

7- قائمة المصادر العربية:

1- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، تح: أبي فداء عبد الله القاضي، الأجزاء:12، دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت، لبنان، 1407هـ/1987م.

2- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (ت560هـ/1166م): **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس** (مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، مطبعة بريل، ليدن، 1893م.

3-ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م): **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960م،

4- البلوي، عبد الله بن محمد المديني: **سيرة أحمد بن طولون**، تح: محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، لبنان، (د.ت).

5- **ابن خلكان**، أحمد بن محمد بن ابراهيم (ت681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، (د.ت).

6- **الدرجيني**، أحمد بن سعيد الدرجيني (ت670هـ/1271م): **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلايي، مطبعة البعث، قسنطينة، (د.ت).

7- **ابن أبي زرع**، علي بن عبد الله (ت720هـ/1320م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1972م.

8- **ابن الصغير**، المالكي (ت281هـ/895م): **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر وابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.ت).

9- **ابن عذاري**، أبي العباس أحمد بن محمد (ت712هـ/1313م): **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:1، تونس، 1434هـ/2013م.

10- **ابن الفرضي**، أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، تح: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط:1، تونس، 1429هـ/2008م.

11- **القاضي النعمان**، النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد (ت363هـ/974م): **الأرجوزة المختارة**، تح: اسماعيل قربان وحسين بونا وآلا، مونتريال، ط:1، 1970م.

12- **القلصادي**، أبي الحسن علي القلصادي (ت891هـ/1487م): **رحلة القلصادي**، تح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1987م.

8- قائمة المراجع العربية:

1- أحمد، نهلة شهاب: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،** دار الكتب العلمية، ط:1، بيروت، لبنان، 2009م.

2- بو عزيز، يحيى: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب،** دار الهدى، الجزائر، 2009م.

3- بونار، رابح: **المغرب العربي، تاريخه وثقافته،** الشركة الوطنية للكتاب، ط:3، الجزائر، 1968م.

4- الجابري، محمد الصالح: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس،** الدار العربية للكتاب، تونس، 1983م.

5- حسن، حسن إبراهيم وحسن، علي إبراهيم: **النظم الإسلامية،** مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، (د.ت).

6- داوود، سليمان بن يوسف: **حلقات من تاريخ المغرب،** مطبعة أبو داود، الجزائر، 1993م.

7- الربيعي، فالح: **تاريخ المعتزلة (فكرهم وعقائدهم)**، الدار الثقافية للنشر، ط:1، القاهرة، مصر، 1421هـ/2001م.

8- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**- قاموس تراجم، الأجزاء: 8، دار العلم للملايين، ط:15، بيروت، لبنان، (د.ت).

9- أبو زهرة، محمد: **مالك، حياته وعصره، آراؤه وفقهه،** دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت).

10-السائح، الحسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب،** دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط:2، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1986م.

11-سالم، عبد العزيز وأحمد مختار العبادي: **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس،** دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1969م.

12-سالم، عبد العزيز: **محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية،** مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2004م.

13-سالم، عبد العزيز: **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، ط:1، بيروت، لبنان، 1980م.

14-الشيال، جمال الدين: **أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1970م.

15-طقوش، محمد سهيل: **تاريخ الدولة العباسية،** دار النفائس، ط:7، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م.

16-عبد الحميد، سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال،** منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993م.

17-عبد الله، عبد العزيز: **معطيات الحضارة المغربية،** دار الكتب العربية، ط:3، الرباط، المغرب، 1963م.

18-العراقي، سيد أحمد: **تجارة القوافل بين الشمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري،** المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984م.

19-كاشف، سيده اسماعيل وسرور، جمال الدين وعاشور، سعيد عبد الفتاح: **تاريخ مصر الإسلامية،** الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1993م.

20-الكتاني، محمد: **فاس قطباً حضارياً في تاريخ المغرب،** أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 2009م،

21-مأمون، جيهان ممدوح: **الدولة الطولونية والإخشيدية في مصر،** تقديم: قاسم عبده قاسم، دار نهضة مصر، ط:1، الإسكندرية، مصر، 2009م.

22- المدني، أحمد توفيق: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا،** المطبعة العربية، الجزائر، 2003م.

23-مسعد، سامية مصطفى: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية (300-399هـ/912-1008م)،** عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط:1، الهرم، مصر، 2000م.

24-نقرة، التهامي: **القيروان عبر العصور،** طباعة كتاب الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، 1964م.

9- قائمة الرسائل الجامعية:

1- **بالأعرج،** عبد الرحمن: **العلاقات الثقافية بين دولة بين زيان والمماليك،** كلية الآداب، جامعة تلمسان، الجزائر، 2007م.

2- **بلعربي**، خيرة: **المسالك والدروب وأثرها في تفعيل الحركة التجارية والثقافية في المغرب الإسلامي (5-10هـ/11-16م)**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م.

3- **بورملة**، خديجة: **التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري/ 12-15م**، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، 1439هـ/2018م.

4- **بو عامر**، مريم: **الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري**، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 1431هـ/2010م.

5- **شعثان**، سمية وحميدة عطفاوي: **نشاط الجيش الفاطمي بالمغرب من خلال كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان**، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور يحي فارس، المدية، 1441هـ/2020م.

6- **عبد الحفيظ**، منصور: **الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في عهد الإمارة الرستمية**، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1404هـ/1984م.

7- **عوض الله**، الشيخ الأمين محمد: **العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي**، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الخرطوم، 1396هـ/1976م.

10- قائمة المراجع المعربة:

1- بروفنسال، ليفي: **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة: ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

2- روكسين جب، هاملتون أليكساندر: **تراث الإسلام**، بيروت، لبنان، 1972م.

3- مارسيه، جورج: **بلاد المغرب وعلاقتها ببلاد المشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف بالإسكندرية، الإسكندرية، مصر، (د.ت).

المصادر التاريخية والجغرافية والطبيعية للموسوعة العمرية (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) عند العمري (700-749هـ/1301-1349م)

ملخص:

يعد أحمد بن فضل العمري واحداً من رواد علوم الأدب والجغرافيا والحضارة والعمران في تاريخ الحضارة الإسلامية، فقد احتل مكانة علمية كبيرة على المستوى العربي والإسلامي نتيجة الجهود العظيمة في مجال الدراسات الأدبية والجغرافية وأحوال العمران، وكان لمؤلفه" مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، والمعروفة بالموسوعة العمرية الشغل الشاغل للعديد من الباحثين والمؤرخين وطلاب العلم على مدى أكثر ما يزيد على القرن، هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية النباتية التي تستحق الدراسة والتمحيص، إلا أن جلّ الاهتمام والتركيز كان على قضايا التحقيق، وهذه الدراسة ستهتم بتتبع مصادر العمري في هذه الموسوعة في أجزائها السبع والعشرين، وقد جاء تناوله لها من خلال تصنيفها إلى خمس فئات: فلسفية طبيعية، وجغرافية، وتاريخية، وأدبية، ودينية.

الكلمات المفتاحية: العمري- الموسوعة العمرية- المصادر الطبيعية- المصادر التاريخية- المصادر الجغرافية.

Historical, geographical and natural sources for the Omari Encyclopedia (The Paths of Vision in the Kingdoms of the Lands) According to al-Amri (700-749 AH/1301-1349 AD).

summary:

Ahmed bin Fadl Al-Omari is considered one of the pioneers of the sciences of literature, geography, civilization and urbanism in the history of Islamic civilization. He occupied a great scientific position at the Arab and Islamic level as a result of great efforts in the field of literary and geographical studies and urban conditions. His author was “Masakil Al-Amsar fi Kingdoms of Al-Amsar”, known as the Encyclopedia. Al-Umari has been the primary concern of many researchers, historians, and students of science for more than a century. This is a historical and botanical encyclopedia that deserves study and scrutiny. However, most of the attention and focus was on the issues of investigation, and this study will then focus on tracing Al-Umri’s sources in this encyclopedia. Its twenty-seven parts, and he dealt with it by classifying it into five categories: natural philosophical, geographical, historical, literary, and religious.

key words: Al-Omari - Al-Omari - Sources Natural - Sources Historical - Sources Geographic Encyclopedia .

مقدمة:

تميزت الأمة العربية الإسلامية بأنها أمة حاضنة للعلم والعلماء، مهتمة بتوثيق كل ماهو جديد عن طريق تأليف الكتب ونشرها، وفي العصر المملوكي، قام حكامها بتشجيع الحركة الفكرية ببناء المدارس، والاهتمام بالتعليم، ورعاية العلماء والطلاب والمكتبات.

في هذه الفترة عاش أحمد بن فضل الله العمري، وعاصر مرحلة من مراحل الدولة المملوكية، فعمل في دواوين بلاد الشام ومصر، وكلف بقراءة البريد على السلطان، وقد قام بتأليف الموسوعة العمرية(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، التي سيتم دراستها من حيث المصادر التي اعتمد عليها، وبداية سيتم التعريف بعصر المؤلف وحياته وأسرته وشيوخه، ورحلاته، والوظائف التي عمل بها، ومؤلفاته.

ثم ستهتم الدراسة بتتبع أهم مصادر العمري في الموسوعة في أجزائها السبع والعشرين،

وقد جاء تناوله لها من خلال تصنيفها إلى خمس فئات: فلسفية طبيعية، وجغرافية، وتاريخية، وأدبية، ودينية، وسيتم التركيز على الفئات الثلاثة الأوائل.

-مشكلة البحث وأهميته:

تكمن إشكالية الدراسة في تتبع مصادر العمري في الأجزاء السبعة والعشرين التي استمد منها العمري مادته العلمية في الموسوعة العمرية، وجمعها في مصنف واحد مع إجراء دراسة تحليلية، والدراسة تحمل عنواناً معبراً عن مادتها، وعن محتواها في البحث، وعن الوفاء لهذا المؤلف لما شملته الموسوعة من الموضوعية والعلمية والأكاديمية، ومناقشة كافة المصادر، وتحليلها، ضمن أطر موضوعية منصفة للقضايا العلمية، وهذا ما فيه أهمية وفوائد للمهتمين في البحث العلمي.

-أهداف البحث:

تتلخص أهداف الدراسة في مايلي:

-الكشف على تعدد التخصصات المعرفية التي احتوتها الموسوعة العمرية: التاريخية، والجغرافية، والطبيعية، وغيرها، وذلك لما لهذا الأمر من أهمية في تعزيز البنية المعرفية والعلمية.

- تتبع مرويات العمري التي تعتمد على المشاهدة والمعاينة.
- تتبع المرويات السماعية في الموسوعة العمرية.
- تتبع النقولات الكتابية في الموسوعة العمرية.
- انتاج مادة علمية معبرة عن محتوى ومنهج الموسوعة العمرية في قالب واحد، وذلك بالاعتماد على منهجيات البحث العلمي القائمة على التحليل والوصف والنقد والمقارنة.

-الدراسات السابقة:

كانت ولازالت الموسوعة العمرية محل اهتمام الباحثين على ما يقارب القرن من الزمان، وذلك منذ أن قام الباحث أحمد زكي باشا بتحقيق الجزء الأول منها في سنة 1342هـ/1924م[1].

وقد تتالت بعد ذلك مجموعة من الأعمال الأخرى؛ ففي سنة 1376هـ/1957م قام الدكتور صلاح المنجد بنشر قطعة من الموسوعة في مجلة معهد المخطوطات

[1] - العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

العربية تحت عنوان" وصف دمشق في مسالك الأبصار"[2]، وقد أعاد نشرها في سنة 1406هـ/1967م، ضمن كتابه" مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين"[3].

وفي سنة 1394هـ/1974م قام الدكتور أيمن فؤاد السيد بنشر القسم الخاص باليمن، وفي سنة 1406هـ/ 1985م[4]، نشر القسم الخاص بممالك مصر والشام والحجاز واليمن[5].

وفي التسعينات من القرن العشرين قام الدكتور سهيل زكار بتضمين موسوعته الشامية قسماً خاصاً من مسالك الأبصار يتحدث عن الحروب الصليبية[6].

كذلك التحقيق الذي قام به عبد الله الشريحي عن الموسوعة، ونشر في المجمع الثقافي في أبو ظبي سنة 2003م.

هذا إلى جانب العديد من الأطروحات الجامعية، من بينها أطروحة الماجستير الخاصة بالدكتور عمار النهار، المقدمة إلى كلية الآداب في جامعة دمشق سنة

---

[2] – المنجد، صلاح الدين: وصف دمشق في مسالك الأبصار، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج1، دمشق، 1957م، ص113–126.

[3] – المنجد، صلاح الدين: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1967م، ص219.

[4] – العمري، أحمد بن يحي ت. 749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار– القسم الخاص باليمن–، تح: أيمن فؤاد السيد، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1974م.

[5] – العمري، أحمد بن يحي ت. 749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار– ممالك مصر والشام والحجاز واليمن–، تح: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1985م.

[6] – زكار، سهيل: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م، ج23، ص10.

1423ه/2002م والمتعلقة بالقسم الخاص بالدولة العباسية[7]، وهذه الرسائل كانت لتحقيق المخطوط أو الحديث عن النباتات والمعادن والحيوانات، ومنها من تطرق للتراجم، أو الحديث عن الدول، وهذا البحث مهتم فقط في البحث عن المصادر المعتمدة عند العمري في الموسوعة.

-عرض البحث:

أولاً: عصر المؤلف

عرف العصر الذي عاش فيه العمري بعصر المماليك، وكانت بداية هذا العصر في سنة 648ه/1250م، ونهايته في سنة 923ه/1517م، أي امتد قرابة 275سنة، وكانت دولة المماليك سيدة الموقف في ذلك العصر، حيث امتد نفوذها على كل من: مصر وبلاد الشام، وبلاد الحجاز، فالمماليك هم أجناس متعددة وفرق مختلفة ولا يربطهم أي صلة قرابة أو دم استقدمهم الأيوبيين للخدمة العسكرية أسسوا دولة سنة 648ه/1250م، بعد قتلهم توران شاه[8]، ونتيجة لسكنهم والنزول في بعض المواقع نسبوا إليها وقسموا إلى سلالتين: البحرية[9] وقد سكنوا في جزية الروضة[10]،

[7] – النهار، عمار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قطعة خاصة بالدولة العباسية، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق.

[8] – قتله المماليك سنة 648ه/1250م وله من العمر أقل من ثلاثين سنة، ودفن بالقرب من دمياط، تسلطن لمدة ثلاثة أشهر فقط، ولم يدخل عاصمته القاهرة خلالها، المقريزي، أحمد بن علي ت.845ه/1441م: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: سعيد عاشور، دار الكتب، القاهرة، 1971م، ج1، ص361.

[9] – سبب تسمية هذه الفرقة بالبحرية يرجع إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة في بحر النيل مركزاً لهم، وكان معظم هؤلاء المماليك من الأتراك، مجلوين من بلاد القفجاق ومن بلاد القوقاز، عاشور، سعيد: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص153.

وامتدت دولتهم مابين 648-784هـ/1250-1384م؛ أولهم شجر الدر ت.655هـ/1257م وأخرهم المنصور حاجي بن الأشرف شعبان الذي عزل سنة 784هـ/1382م، والمماليك البرجية وقد سكنوا أبراج قلعة القاهرة ويعرفون بالجراكسة[11]، وامتدت دولتهم مابين 784-923هـ/1382-1517م؛ أولهم السلطان الظاهر برقوق ت.801هـ/1399م وأخرهم السلطان الأشرف طومان باي ت.923هـ/1517م[12].

وأما الزمن الذي عاش فيه العمري، فقد حكم في هذه المرحلة العديد من السلاطين، إلا أن أبرزهم كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون(693-741هـ/1294-1341م)[13].

---

[10] – جزيرة في مجرى النيل، بقيت على مر الأيام ضاحية ملكية يبني فيها الأمراء والوزراء والخلفاء حصونهم وقصورهم، وفي عهد السلطان الأيوبي الصالح أيوب بنى فيها قلعة الصالحية وبيوت المماليك التي أسماها المماليك البحرية، الشيال، جمال الدين: تاريخ مصر الإسلامية، دارة المعارف، القاهرة، 1966م، ص85.

[11] –جنس من الترك موطنهم الأصلي المنطقة الواقعة شرق البحر الأسود، تعرضت بلادهم للغزو المغولي، فازدادت أعدادهم في بلاد الشام ومصر، واشتراهم ملوك بي أيوب بأبخس الأثمان، العيني، محمود بن أحمد ت.855هـ/1451م: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م، ص64.

[12] – عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين، ص263.

[13] – هو السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون، ولد سنة 684هـ/1285م، وقد توزعت مدة حكمه على ثلاث فترات، انتهت بوفاته سنة 741هـ/1341م، الصفدي، خليل بن أيبك ت. 764هـ/1362م: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 2000م، ج4، ص251.

وقد عاصر العمري معظم المدة التي حكم فيها السلطان الناصر، ذلك أن حياته امتدت على طول النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، قضى معظمها متنقلاً بين الشام ومصر، وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل العصر المملوكي على الإطلاق، رغم القلاقل التي رافقت فترات حكم السلطان الناصر الذي تولى السلطة بعد مقتل أخيه السلطان الأشرف صلاح الدين خليل(689-693هـ/1290-1294م)، وكان عمره حينها ثماني سنين وأشهر[14]: الأولى(693-694هـ/1293-1394م) وانتهت بقيام آتابك العساكر الأمير زين الدين كتبغا(694-696هـ/1294-1297م) بخلعه، واستيلائه على عرش السلطنة، والثانية(698-708هـ/1299-1309م) حيث تجددت الخلافات بين الأمراء المماليك، وكثرت تعدياتهم، مما اضطر السلطان الناصر إلى اعتزال السلطة والاستقرار في الكرك[15]، أما في الفترة الثالثة(709-741هـ/1310-1341م)؛ فقد تمكن الناصر من فرض سلطته على كامل البلاد، وعم الأمن والازدهار في كل أرجاء الدولة، وعلى العموم فإن المدة التي قضاها السلطان الناصر في الحكم بفتراته الثلاث، تعد من أزهى فترات التاريخ المملوكي توسعاً، وازدهاراً في شتى مجالات الحياة، فكان لدولته الزيادة، ولسلطانه السيادة، وقد صرح النويري بذلك في كتابه" نهاية

[14] – ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت.774هـ/1372م: البداية والنهاية، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 1997م ، ج13، ص310.

[15] – الكرك: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض، الحموي، ياقوت بن عبد الله ت. 626هـ/1228م: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج4، ص453.

الأرب"، عندما ذكر أولاد المنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م) ، فقال عن ابنه السلطان محمد:" وهو سلطان هذا العصر"[16].

وكذلك فقد عبر المقريزي عن عظمة السلطان الناصر، وعلى قدره وقدر دولته في ذلك العصر، فقال:" وكانت همته علية وسياسته جيدة، وحرمته عظيمة إلى الغاية، ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمى وراءها، يبذل في ذلك من الأموال ما لا يوصف كثرة، فكان كتابه ينفذ أمره في سائر حركاته، ما عانده أحد، أو أضمر له سوءاً إلا وندم على ذلك، أو هلك"[17].

وبالتالي فإن المرحلة التي حكم فيها السلطان الناصر في ذلك العصر شكلت المرحلة الذهبية من حياة العمري، فالدولة التي ينتمي إليها، تتربع على مراتب الصدارة حينها، مما وفر له فرصاً ممتازة للارتقاء، وتوظيف المواهب، وتطوير الخبرات، والتدرج الوظيفي إلى أعلى المراتب، وقد استفاد العمري من هذه الفرص خير استفادة.

وعندما بدأت كفة هذه الدولة تميل إلى عدم الاستقرار بعد وفاة السلطان الناصر، انعكس ذلك على الحال على العمري، وبدأ ذلك العصر الذي كان له دور كبير في ارتقائه وبزوغ نجمه في اتخاذ دور مغاير، مما أدى إلى تدهور أحواله، ومن ثم أفول نجمه؛ حيث إنه في الفترة التي امتدت من وفاة السلطان محمد إلى حين وفاة العمري تعاقب على السلطنة سبع سلاطين من أبناء الناصر[18]، وخلال هذه الفترة تم الاستغناء

---

[16] – النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ/1334م: نهاية الأرب في نهاية الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م، ج3، ص112.

[17] – المقريزي، أحمد بن علي ت.845هـ/ 1441م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية -، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ج4، ص106.

[18] – السلاطين السبع هم: المنصور أبو بكر ابن الناصر تولى السلطنة في محرم سنة 742هـ/1341م، وتوفي في شهر صفر نفس السنة، وقد تولى بعده أخوه الأشرف في

عن خدمات العمري، وذلك في عهد السلطان الصالح إسماعيل(743-746ه/1342-1345م) ابن السلطان الناصر، حيث طلب من دمشق إلى مصر في سنة 743ه/1342م لمحاسبته بسبب كثرة الشكوى منه، ولولا تدخل أخيه علاء الدين[19] لدى السلطان لكان للقضية اتجاه آخر[20]، وبالتالي فقد لعب العصر الذي عاش فيه العمري دوراً مفصلياً في حياته سلباً أو ايجاباً.

والملاحظ مما تقدم، أن انتقال السلطة عند أسرة قلاوون كان بالوراثة، لكن هذا المبدأ لم يكن سائداً كما هو في العصر الأموي والعباسي مثلاً، بل طالته الكثير من الخروقات، على عكس ما كان سائداً في العصر المملوكي وهو الحكم لمن غلب، وذلك نظراً للتنشئة العسكرية لرجال المماليك، واعتزازهم بأنفسهم، مما حال دون انصياعهم بسهولة لرغبات السلاطين.

صفر سنة 742ه/1341م، وخلع في نفس السنة، وتولى بعده أخوه الناصر أحمد في صفر سنة 742ه/1341م، وخلع في المحرم سنة 743ه/1342م، فتولى بعده أخوه الصالح إسماعيل إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة 746ه/1345م، فتولى بعده أخوه الكامل شعبان إلى أن خلع في جمادى الآخرة سنة 747ه/1346م، فتولى بعده أخوه المظفر حاجي إلى أن قتل في رمضان سنة 748ه/1347م، فتولى أخيه الناصر حسن، واستمر حتى خلع نفسه في جمادى الآخرة سنة 752ه/1351م، ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت. 874ه/ 1470م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ج10، ص116، 148، 178،254.

[19] – علي بن يحي بن فضل الله العمري، كاتب السر للسلطان محمد بن قلاوون ولأبنائه من بعده، عرف بإخلاصه ورزانته وأدبه، توفي سنة 769ه/1368م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج22، ص322.

[20] – العسقلاني، أحمد بن علي ت. 852ه/ 1448م: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سالم الكرنكوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م، ج1، ص333.

ثانياً: حياته

1- اسمه ونسبه وكنيته:

بدأ العمري موسوعته الضخمة بذكر اسمه ونسبه؛ حيث قال:" يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الراجي عفوه، أحمد بن يحي بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله_ وقيل أسلمة بن عبيد الله_ بن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي[21]، وقد سمي بالعمري لأنه يعود بنسبه إلى عمر ابن الخطاب، أما عن لقبه فإنه كان يكنى بأبي العباس، ويلقب بشهاب الدين[22].

2-مولده:

لم يكن المكان الذي ولد فيه العمري، وهو دمشق محل خلاف بين المصادر التي ترجمت له، لكن الخلاف كان في تحديد التاريخ الدقيق لهذه الولادة؛ حيث تعددت الأقوال في ذلك: فالصفدي الذي يعد من أكثر المؤرخين التصاقاً به كان متأرجحاً في تحديد سنة ولادته، فذكر عدة أقوال منها أنه ولد في دمشق في شوال سنة 700هـ/1301م، ومنها أنه ولد سنة 701هـ/1302م.

3-أسرته ونشأته:

نشأ العمري في كنف أسرة لها مكانتها الثقافية والسياسية، مما أتاح له التزود بالعلم، والارتقاء بدرجاته، واستلام المناصب، والارتقاء في سلمها، فوالده القاضي محي الدين يحي بن فضل العمري، كان يمتلك موهبة متميزة في الكتابة، وقد مهدت له هذه

[21]- العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الله الشريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2003م، مج1، ص157.

[22]- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت. 1089هـ/ 1668م : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود أرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط2، 1992م، ج8، ص273.

الموهبة الطريق إلى تولي أعلى المناصب؛ فكانت بدايته الأولى كاتباً للإنشاء في دمشق سنة 661هـ/1247م، ثم تولى كتابة السر في مصر سنة 623هـ/1333م، حتى وفاته سنة 738هـ/1338م[23].

وعمه شرف الدين عبد الوهاب بن فضل العمري يعد إماماً في كتابة السر، من أهم من تولى هذا المنصب في دمشق ومصر، حتى وفاته سنة 1317/7178م[24].

وأخوه علاء الدين علي بن يحي بن فضل الله العمري من أحسن الناس خطاً ومن أكثرهم على تقليد الخطوط، شغل كتابة السر في حلب، وباشره خليفة لوالده بعد وفاته، وخدم اثني عشر سلطاناً[25].

وأخوه الأكبر سناً هو القاضي بدر الدين، وكان يمتاز بحسن الخط أيضاً، إلا أنه لم يعمر طويلاً، وتوفي سنة 746هـ/1345م عن عمر ناهز ست وثلاثين سنة[26] .

وزوجته هي ابنة عمه، وكانت إلى جانبه في حله وترحاله، توفيت في القدس سنة 749هـ/1348م، دفنها هناك، وعاد إلى دمشق، وفي يوم وصوله كان لحاقه بها[27].

وعن نشأة العمري فقد لازم والده يساعده في مهامه، لا يفارقه؛ فعندما عين والده على كتابة السر في دمشق، كان العمري إلى جانبه كاتباً للإنشاء، ولما استدعى السلطان الناصر محمد بن قلاوون والده لكتابة السر في مصر، سار إليها برفقة والده سنة 729هـ/1329م، فتولى الأب كتابة السر، وتولى هو قراءة البريد على السلطان محمد بن قلاوون، إضافة إلى بعض المهمات التي كان يكلف بتنفيذها[28].

---

[23]– العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4، ص424.

[24]– الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19، ص211.

[25]– العسقلاني: الدرر الكامنة، ج3، ص138.

[26]– العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4،ص282.

[27]– الصفدي: أعيان العصر، ج1، ص420.

[28] – العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص332.

ولما قام الناصر بتعيين أحد الأقباط على كتابة السر، أمر العمري بأن يكتب له بزيادة في أجره، فأبى، وقال: أما يكفي أن يكون كاتباً للسر حتى يزاد في معلومه، وقام غاضباً وقال للسلطان: خدمتك علي حرام، فغضب السلطان الناصر، وعزله في سنة 738هـ/1337م، وعين مكانه أخاه علاء الدين، على الرغم من وساطة والده[29].

وبعد وفاة والده في مصر رغب بالعودة إلى دمشق، واستأذن السلطان في ذلك، فقام السلطان باعتقاله، وذلك في سنة 739هـ/1338م، وكان السلطان الناصر لم يعاقبه في حياة أبيه إكراماً له، ولما مات أمر بسجنه[30].

بعدها عفا عنه السلطان، وعينه على كتابة السر في دمشق سنة 741هـ/1340م، ثم عزل سنة 43هـ/1342م، وطلب إلى مصر، فشفع له أخاه علاء الدين، فعفى عنه السلطان، وعاد إلى دمشق، وبقي بلا منصب حتى وفاته في ذي الحجة سنة 749هـ/ 1349م[31].

4-شيوخه:

برع العمري في علوم متعددة أخذها عن علماء عصره، حيث أورد ابن العماد، فقال: "وتخرج في الأدب بوالده والشهاب محمود[32]، والنحو عن أبي حيان[33]، وعلوم

---

[29] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص235.

[30] – العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص332.

[31] – ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص215.

[32]– أبو الثناء محمود بن سلمان، ولد في سنة 644هـ/1246م، تولى كتابة الإنشاء في دمشق، ومصر، برع في الكتابة والشعر، توفي في دمشق سنة 725هـ/1325م، ابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص124.

[33]– محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، من علماء اللغة والنحو، وصاحب تفسير البحر المحيط، ولد بغرناطة سنة 654هـ/1256م، وتوفي في دمشق سنة 745هـ/1344م، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد حبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط1، 1988م، ص267.

العربية من ابن قاضي شهبة[34]، وعلم العروض والأدب على يدي الصائغ الدمشقي[35]، وأخذ الأصول عن الأصفهاني[36]، والفقه عن البرهان الفزاري[37]، وابن الزملكاني[38]، وغيرهما[39].

[34]– كمال الدين عبد الوهاب بن محمد، ولد بخوازان سنة 653ه/1255م، وتوفي سنة 726ه/1326م، السبكي، عبد الوهاب بن علي ت.771ه/ 1369م: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناجي، دار هجر، القاهرة، ط2، 1992م ، ج10، ص124.

[35]– شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع ، ولد سنة 645ه/1247م، وتوفي سنة 722ه/1322م، وكان حانوته بقيسارية الصاغة بدمشق سوق ذهب وأدب، الكتبي، محمد بن شاكر ت.764ه/1363م: الوافي بالوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م، ج3، ص326.

[36]– محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم بن أحمد الأصفهاني، ولد في أصفهان سنة 674ه/1275م، ثم جاء إلى دمشق سنة 725ه/1325م، وانتقل إلى مصر سنة 732ه/1332م، برع في العلوم العقلية وفي العلوم النقلية، توفي سنة 749ه/1349م في مصر، السبكي: طبقات الشافعية، ج10، ص383.

[37]– إبراهيم بن عبد الرحمن، ولد سنة 660ه/1261م، وتوفي في دمشق سنة 729ه/1261م، الذهبي، محمد ابن أحمد ت.748ه/1347م: العبر في أخبار من عبر، تح: محمد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1986م، ج1، ص34.

[38] – قاضي القضاة محمد بن علي بن عبد الواحد ابن خطيب زملكا، المعروف بابن الزملكاني، ولد في دمشق سنة 667ه/1269م، تولى التدريس والإفتاء فيها، وتقلد عدة مناصب من أهمها قضاء حلب، ومن ثم قضاء مصر، توفي سنة 727ه/1327م، الذهبي: المعجم المختص بالمحدثين، ص246.

[39] – شذرات الذهب، ج8، ص274.

5- رحلاته:

لم تتجاوز رحلات العمري حدود بلاد الشام ومصر مروراً بالحجاز، حتى الرحلة التي قام بها إلى معرة النعمان للقاء ابن الوردي[40]، وتلك التي قام بها إلى الحج سنة 738هـ/1337م، وإلى القدس الشريف[41]، كانت ضمن هذا الإطار الجغرافي ولم تتجاوزه، ولعل في طبيعة العمل الذي مارسه العمري، الدور الأهم في الحد من تنقلاته؛ فهو كاتب السر الملازم للسلطان الذي لا يسمح له بمغادرة مكانه إلا بإذن منه، حتى عندما أقصاه السلطان الناصر عن عمله سنة 738هـ/1337م، فإنه فرض عليه نوعاً من الإقامة الجبرية في مصر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن انتماء العمري إلى أسرة مثقفة لها مكانتها العلمية والسياسية، كان له دور في الحد من قلة هذه الرحلات، فوالده هو المعلم الأول له، كما أن لنشأته في دمشق، التي تزخر بالعلماء الأجلاء في وقته، كبير الأثر في إعداد العمري من الناحية العلمية دون اضطراره إلى التنقل لأخذ العلم من مكان أخر.

6-وظائفه:

ينتمي العمري إلى أسرة ذات صلة وثيقة بالعمل في دواوين بلاد الشام ومصر، فقد عمل كاتباً في ديوان الإنشاء بدمشق ثم بمصر، وتولى كتابة السر للسلطان الناصر، وكلف العمري بقراءة البريد على السلطان، واستمر على هذه الحال، حتى أنه جلس للإفتاء في دار العدل، ثم عزل عن منصبه عندما ساءت علاقته بالسلطان، ثم اعتقل سنة 739هـ/1339م، ثم أفرج عنه سنة 740هـ/1339، واتخذه مستشاراً له، ثم عين

---

[40]- ابن الوردي، عمر بن مظفر ت.749هـ/1348م: تتمة المختصر في تاريخ البشر(تاريخ ابن الوردي)، تح: أحمد البداوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1970م، ج2، ص503.

[41]- العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج1، ص223. ومن هذه النسخة سيتم توثيق المعلومات.

بديوان السر بدمشق سنة741ه/1340م، ثم عزل، ولزم بعد ذلك منزله، إلى أن توفي سنة 749ه/1349م[42].

7- مؤلفاته:

على الرغم من قصر المدة التي عاشها العمري، والتي لم تتجاوز الخمسين عاماً، إلا أنه ترك مؤلفات كثيرة، وفي أصناف متعددة من فروع العلم، ومن مؤلفاته:

- "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار": وهو الموسوعة التاريخية الجغرافية النباتية[43].

- "التعريف بالمصطلح الشريف"[44]: وقد أطلق عليه القلقشندي " الدستور "[45].

- "فواضل السمر في فضائل آل عمر": وهو في أربع مجلدات[46].

- "صبابة المشتاق في المدائح النبوية"[47].

- " الدعوة المستجابة"[48].

---

[42]- الن حجر: الدرر الكامنة، ج1، ص332.

[43]- ذكره إسماعيل باشا باسم " مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار"، البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثارهم من كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، ج5، ص110.

[44]- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد ت.851ه/1447م: طبقات الشافعية، تح: عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1987م، ج3، ص17.

[45]- القلقشندي، أحمد بن علي ت.821ه/1418م: صبح الأعشى، تح: محمود شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م،ج1، ص110.

[46]- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

[47]- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص235.

[48]- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

- "ممالك عباد الصليب"[49].

- "دمعة الباكي ويقظة الشاكي"[50].

- "نفحة الروض"[51].

- "سفرة السفرة"[52].

- "الشتويات"، ويشتمل رسائل أرسلها العمري في شتاء سنة 745هـ/1344م من دمشق إلى عدة رجال متعلمين، ومخطوط هذا الكتاب في ليدن[53].

- " ذهبية العصر"[54].

- " مختصر قلائد العقيان"[55].

- " الدائرة بين مكة والبلاد"[56].

- " تذكرة الخاطر"[57].

- "حسن الوفا لمشاهير الخلفا"[58].

---

[49]– الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م، مج1،ص268.

[50]– الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

[51]– البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[52]– البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[53]– النهار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار– قطعة خاصة بالدولة العباسية–، ص75.

[54]– البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[55] – الزركلي: الأعلام، مج1، ص268.

[56] –نفس المصدر السابق.

[57] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[58] –نفس المصدر السابق.

8- وفاته:

توفي العمري في ذي الحجة سنة 749هـ/1349م في دمشق بمرض الطاعون الذي عصف بدمشق في حينها[59].

ثالثاً: مصادر العلوم الفلسفية والطبيعية

1-كتاب" الشفاء" لابن سينا[60]:

اعتمد العمري على ابن سينا في إطار حديثه عن كيفية الأرض، وعلاقتها بالكواكب الأخرى، حيث قال:" على ابن سينا قد قال في الشفاء: لم يبين لنا بياناً واضحاً أن الكواكب الثابتة في كرة واحدة، أو كرات منطو بعضها على بعض، إلا بإقناعات، وعسى أن يكون ذلك واضحاً لغيري"[61].

2-كتاب" شارح حي بن يقظان" لابن الطفيل[62]:

اعتمد العمري عليه في إثبات وجود حياة في الجانب الشرقي فيما وراء خط الاستواء، فقد قال:" **وقد ذكر شارح رسالة حي بن يقظان ما يؤيد ما ذكرنا من عمران**

---

[59] – ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص215.

[60] – هو كتاب فلسفي على الرغم من أن عنوانه يوحي بأنه كتاب طبي، والمؤلف هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، المعروف بابن سينا، والشيخ الرئيس، ولد في بخارى سنة 370هـ/980م، اشتهر بالطب والفلسفة، له كتاب" الشفاء" و" القانون"، توفي في همدان سنة 428هـ/ 1037م، ابن خلكان، أحمد بن محمد ت.681هـ/1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ج2، ص157.

[61] – ابن سينا، الحسين بن محمد ت.428هـ/1037م: الشفاء، تح: محمود قاسم، دار الكاتب العربي، القاهرة، ط2، 2012م، ج2، ص46؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص122.

[62] – هو عبارة عن تجليات فلسفية لابن الطفيل، قادته إلى وضع تصور لتوضيح طبيعة النشوء والتطور وتشكل المعرفة، والمؤلف هو محمد بن عبد الملك بن طفيل أحد فلاسفة الأندلس المسلمين، توفي في مراكش سنة 581هـ/1185م، المراكشي، عبد الواحد بن علي ت. 647هـ/ 1250م: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد العريان، ومحمد العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط1، 1949م، ص239.

ما وراء خط الاستواء بالجانب الشرقي وقال: إنه أعدل من الإقليم الرابع، وزعم أنه يتولد هناك الإنسان من غير أم ولا أب"[63].

3-كتاب" عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات" للقزويني[64]:

اعتمد العمري عليه في مجمل المادة التي أعدها عن الحيوان، والنبات، والمعادن، حيث استهل حديثه بالنقل الحرفي، ومن ثم إلى النقل بفوارق بسيطة في اللفظ، حيث قال:" **ولما كان الفرس أذكى حساً من الحمار خلقت أذنه أصغر...قال أبو زكريا القزويني الكموني في كتاب الغرائب والعجائب: أما خواص أجزاء الفرس..."[65].**

وفي إطار حديثه عن خواص الفهد:" **أما خواصه، فقال في كتائب العجائب: إن مرارته إذا خلطت بالعسل والملح وجعلت على الجراحة التي يسيل دمها ينقطع"[66].** وغيرها.

---

[63] – ابن الطفيل، محمد بن عبد الملك ت. 581هـ/1185م: حي بن يقظان، مكتب النشر العربي، دمشق، 1935م، ص23؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص418.

[64] – كتاب علمي يهتم بالكون، وما فيه من أجرام سماوية، وكواكب، ومخلوقات بدءاً من الملائكة، كما أنه يعرف بالأرض ومظاهرها الطبيعية المختلفة من بحار، وجبال، وغيرها، وما تحتويه من الفلذات والمعادن والأحجار، وما يعيش على سطحها من نبات وحيوان وإنسان وجن، ومؤلفه: المؤرخ والجغرافي زكريا بن محمد بن محمود، المعروف بالقزويني نسبة إلى قزوين، ولد سنة 605هـ/ 1208م، تولى قضاء واسط، وهو صاحب كتاب" آثار البلد وأخبار العباد"، توفي سنة 682هـ/1283م، ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت.874هـ/1469م: المنهل الصافي والمستكفي الوافي، تح: محمد محمود أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج5، ص365.

[65] – القزويني: عجائب المخلوقات، ص302؛ العمري: مسالك الأبصار، ج20، ص21.

[66] – القزويني: عجائب المخلوقات، ص328؛ العمري: مسالك الأبصار، ج20، 64.

4-كتاب" الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" لابن البيطار[67]:

اعتمد العمري عليه في الحديث عن الحيوان، والمعادن، والنبات، وساهم في إثراء موسوعته من نصوص ابن البيطار وخاصة عن الأشجار وأنواعها، والأعشاب، والنجوم، وأحياناً كان يتم النقل بالتصرف، وعلى سبيل المثال ذكره للجوز:" **قد ذكر الجوز المشهور في القسم المشترك، وبقي جوز يقال له: جوزبوا وهو جوز الطيب، هو ببلاد الهند**"[68].

رابعاً: المصادر الجغرافية:

تعد المصادر الجغرافية من المصادر الكتابية التي اعتمد عليها العمري في كتابه، وتتمثل في المصادر الآتية:

1-كتاب" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي:

اعتمد العمري على هذا الكتاب لارتباط مادته ذات الطبيعية الجغرافية، وقد اتسم اعتماده في هذا الموضوع بالمنهجية العلمية، وكان يعلق أحياناً على المعلومات، وأحياناً يقارنها مع مصادر أخرى، ومن الأمثلة:" **قلت: فيما ذكره الشريف في الانتهاء إلى أربع**

---

[67] – عبارة عن موسوعة علمية في الصيدلة، جمع بين دفتيه ما يزيد على الألف وخمسمائة نوعاً من النبات والحيوان والجماد، والمؤلف هو عبد الله بن أحمد المالقي، نسبة إلى مدينة مالقة في الأندلس، المعروف بابن البيطار، توفي في دمشق سنة 646ه/1228م، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم ت.668ه/1270م: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، 1980م، ص600.

[68] – ابن البيطار، عبد الله بن أحمد ت.646ه/1228م: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ج4، ص509؛ العمري: مسالك الأبصار، ج20، ص242.

وستين درجة فقط، وإن كان صحيح النظر، فإنها في صورة لوح الرسم تتناهى إلى أكثر من ذلك، وتستكمل من خط الإستواء إلى نهاية الشمال سبعين درجة...[69]

ومن ذلك أيضاً تعليقه مصححاً على جزيرة الياقوت، قال:" **وقد سماها الشريف بجزيرة بسيارة، و ليست في لوح الرسم بجزيرة، ولكن كالجزيرة**"[70].

ولاشك أن العمري اعتمد على أساليب منهجية منظمة تمكن من خلالها احتواء الكم الكبير من مادة الإدريسي، ومنها الاختصار.

2-كتاب" المسالك والممالك" للبكري[71]:

اعتمد العمري على هذا الكتاب في إطار حديثه عن كيفية الأرض ومقدارها، دون أن يشير إلى ذلك صراحة، وأحياناً ينقل بالتصرف، وفي مواضع أشار صراحة بخصوص الاعتماد على هذا المصدر، حيث قال:" **وذكر أبو عبيد البكري في كتاب المسلك والممالك أن حبيشا المنجم ذكر عن خالد بن عبد الله أنه أخذ ارتفاع القطب لعبد الله المأمون ببرية ديار ربيعة**[72] **وهي ربيعة شيحان المقاربة لسنجار**[73] **فوجد مقدار درجة من الفلك ستة وخمسين ميلاً عن الأرض**"[74]. وفي مواضع أخرى عديدة.

---

[69] – الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص8؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص129.

[70] –الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص520؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص131.

[71] – كتاب يحوي مادة تاريخية عامة، إلا أن الطابع الجغرافي هو الغالب عليه، متحدثاً في ذلك عن الأرض والأقاليم، والبحار والأنهار، ومن ثم التعريف بالممالك والبلاد، ومؤلف الكتاب هو عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، الأديب، والجغرافي، والمؤرخ، ولد بقرطبة، وفيها توفي سنة 487هـ/1094م، ابن الأبار، محمد بن عبد ت. 658هـ/1270م : الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، ج2، ص190.

[72] - ديار ربيعة: بين الموصل إلى رأس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ودنيسر والخابور ومابين ذلك من المدن والقرى، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص494.

[73] - سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، وهي في لحف جبل عال، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص262.

[74] – البكري: المسالك والممالك، ج1، ص179؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص126.

3-كتاب " الكمائم"[75]:

اعتمد عليه العمري عندما تحدث عن كيفية الأرض ومقدارها، فقال معقباً للتوضيح:" **قلت، وذكر صاحب الكمائم أن طول الأرض ظاهراً وباطناً، وبراً، وبحراَ، معموراً وغير معمور، أربعة وعشرون ألف ميل، قال: وهي التي تقطعها الشمس بين نهارها وليلها**"[76].

وكذلك نقل عنه في صفات الخلقية والخلقية للشعوب، حيث قال:" **قال صاحب الكمائم: أهل الإقليم الأول في غاية سواد اللون**"، **ثم تابع فقال عن أبراج الإقليم السبعة:" قال صاحب الكمائم: إن الله جعل ولايتها للشهب، فالإقليم الأول زحل وأحكامه: في سعاية الغل والحقد، والهرم والمكر...**[77]

4-كتاب" الجغرافية" لبطليموس[78]:

ذكره العمري عند حديثه عن المعمور من الأرض، فقال:" **فأما ماوقع من العمارة في قسم المشرق، من وراء خط الإستواء هو أول الإقليم الأول، فنقول: إن صاحب الجغرافيا صور فيما هو خارج عن خط الإستواء من مركز دائرة الأرض المسماة عن**

[75] -يعد كتاب الكمائم من أكثر مفقودات المكتبة العربية الإسلامية غموضاً، وهومن المصادر الجغرافية، بالإضافة إلى احتوائه على مادة تاريخية وأدبية، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص126؛ ج4، ص47؛ ج5، ص13؛ ج23، ص176...

[76] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص126.

[77] – العمري: مسالك الأبصار، ج23، ص176.

[78] كتاب جغرافي ، وهو غير متوفر، ومؤلفه هو بطليموس القلوذي، من العلماء اليونانيين، له أيضاً كتاب المناظر، ابن صاعد، صاعد بن أحمد ت.462ه/1070م: طبقات الأمم، تح: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م، ص29.

أهل الشأن: قبة أرين جزراً عامرة مسكونة في البحر الهندي، من وراء سرنديب[79] في الجنوب، وهي متصلة بها"[80].

وقال:" **وقد ذكر صاحب الجغرافية أن جملة المعمورة أربعة آلاف ميل وخمسمائة ميل وثلاثون ميلاً"[81].**

ولقد تعامل مع الكتاب لاستخلاص الحقائق، لاسيما من الخرائط المرافقة له، وليس بالنقل الحرفي، ويلاحظ أن العمري ذكر الكتاب منسوباً إلى مؤلف مجهول، وقد يكون لعدم معرفته أن صاحب الكتاب هو بطليموس.

5-كتاب" الأمكنة والمياه والجبال" للزمخشري[82]:

اعتمد عليه العمري أثناء حديثه عن جبال مكة، فقال:" **فيما يتعلق بجبل أبي قبيس، وإنما قيل له أبو قبيس لأن الحجر الأسود اقتبس منه، وقيل هو اسم رجل من مذحج كان يكنى أبا قبيس عرف به لأنه أول من بنى فيه، كذا قال الزمخشري"[83].**وقال:" **وقال الزمخشري: وكان يسمى في الجاهلية الأمين"[84].** وغيرها.

---

[79] - سرنديب: جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص203.

[80] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص130.

[81] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص143.

[82] – عبارة عن معجم جغرافي، ومؤلفه هو الزمخشري محمود بن عمر الخوارزمي، المفسر واللغوي، ولد بزمخشر من قرى خوارزم، وانتقل إلى مكة فسمي بجار الله، له مؤلفات كثيرة، منها: الكشاف في التفسير، وكانت وفاته بالجرجانية سنة 538هـ/ 1143م، الحموي، ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب– معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993م، ج6،ص2687.

[83] – الزمخشري، محمود بن عمر ت.583هـ/1143م: الأمكنة والمياه والجبال، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد، 1968م، ص12؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص150.

[84] – الزمخشري: الأمكنة والمياه والجبال، ص42؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1،ص153.

6-كتاب" صورة الأرض" لابن حوقل[85]:

يعد الكتاب من المصادر الجغرافية التي اعتمد عليها العمري، حيث قال:" **قال صاحب كتاب معرفة أشكال الأرض: وأما الرمل الهيبر، فهو الرمل الذي أصله بالشقوق إلى الأجفر عرضاً، وطوله من وراء جبل طيئ إلى أن يتصل مشرقاً بالبحر، ويمضي من وراء جبلي طيء إلى أرض مصر، ثم إلى النوبة**"[86]. وغيرها.

7-كتاب" الإشارات إلى معرفة الزيارات" للهروي[87]:

اعتمد عليه العمري في إطار وصفه للمغارة التي تحوي قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام، حيث قال:" **قال علي بن أبي بكر الهروي: حدثني جماعة من مشايخ بلدة الخليل، أنه في زمن الملك برديل، انخسف موضع هذه المغارة، فدخل جماعة من الفرنج إليها، فوجدوا فيها إبراهيم واسحق ويعقوب، وقد بليت أكفانهم، فجدد الملك**

---

[85] – كتاب صورة الأرض، أو ما يعرف بالمسالك والممالك والمفاوز والمهالك، هو كتاب جغرافي يتحدث عن البلاد والمدن وخواصها ومواردها، والمسافات التي تفصل بينها، ومؤلفه هو محمد بن علي النصيبي، نسبة إلى نصيبين في شما شرق الجزيرة الفراتية، والمعروف بابن حوقل، توفي سنة 367هـ/977م،

[86] –ابن حوقل، محمد بن علي ت.367هـ/977م: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص42؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص174.

[87] – كتاب يوثق للعديد من المواقع الدينية والتاريخية التي كتنت مركزاً لنشاط أو إقامة أو مرور الأنبياء، والصحابة، والصالحين، في إطارها الجغرافي: بدءاً من مدينة حلب والمناطق التابعة لها ثم باقي الأقاليم الشامية، وبلاد مصر والمغرب وجزائر البحر وبلاد الروم، والعراق وأطراف الهند ومكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن، وانتهاء بعد ذلك ببلاد العجم، ومؤلفه هو علي بن أبي بكر الهروي، مؤرخ ورحالة، لقب بالهروي نسبة لهراة بخراسان، توفي في حلب سنة 611هـ/1214م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص346.

أكفانهم ثم سد الموضع، وذلك سنة عشر وخمسمائة"[88]، وعن عدة مزارات وقبور، وكان العمري أميناً في النقل، لكنه كان انتقائياً، في ذكر مزارات معينة، وترك أخرى.

8-كتاب" تقويم البلدان" لأبي الفداء[89]:

شكل اطلاع العمري على الكتاب دعماً لما كان قد ذهب إليه في تقسيمه للأقاليم، حيث قال:" **وقد تقدم مما استخرجناه من لوح الرسم، ثم رأيت الملك المؤيد عماد الدين أبا الفداء إسماعيل صاحب حماة، وقد ذكر ذلك في كتابه المسمى تقويم البلدان"[90]**. وهناك أمثلة كثيرة على نفس المنوال.

[88] – الهروي، علي بن بكر ت. 611هـ/1214م: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002م، ص35؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص233.

[89] – كتاب جغرافي يهتم بالتعريف بالأقاليم والبلدان والجزر، وما تحويه من أماكن، مبتدئاً بذكر جزيرة العرب، ومؤلفه هو أبو الفداء إسماعيل بن علي الأيوبي، صاحب حماة، المولود في دمشق سنة 672هـ/1273م، والمتوفى سنة 732هـ/1332م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج9، ص104.

[90] – أبو الفداء: تقويم البلدان، ص10؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص417.

9-كتاب" المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد[91]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن مدينة جورجان من بلاد خوارزم، حيث قال:" **وقد ذكر ابن سعيد في المغرب أنه من الخامس...وأما الشريف فجعلها من الرابع وهو أقرب**"[92].

وفي إطار الحديث عن مملكة إفريقية رجع العمري إلى كتاب المغرب لابن سعيد، وذلك للتعريف بمراسم حضور السلطان لصلاة الجمعة، ومراسم خروجه إلى قصره المعروف بالبستان، ومراسم جلوسه للمظالم في يوم السبت، وكيفية التعامل معها[93]. وهناك مواضع أخرى.

ولابد من الإشارة إلى أن المادة التي خلدها العمري نقلاً عن ابن سعيد، تعد ثروة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وذلك أن أصلها مايزال حتى الآن في حكم المفقود.

10-كتاب" الروض المعطار في أخبار الأقطار" للحميري[94]:

اعتمد عليه العمري إطار الحديث عن ممالك الإسلام، وذلك لاستكمال المادة المتعلقة ببلاد ماوراء النهر، وقد جاء:" **قال صاحب الروض المعطار في أخبار الأقطار**،

---

[91] – كتاب جغرافي أدبي، يتألف من 15 مجلداً، وهو موزع على البلد، ستة منها لمصر، وثلاثة لبلاد المغرب، وستة للأندلس، وهو يبدأ بذكر كل مملكة في هذه البلدان مستهلاً بقاعدة ملكها، ومن ثم المدن الأخرى معرفاً بجغرافيتها وتاريخها، وأعلامها، وقد توارث تأليف هذا الكتاب سبعة من المؤلفين كان آخرهم ابن سعيد، وهو نور الدين علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد المغربي، ولد في غرناطة سنة 610ه/1213م، له رحلة إلى المشرق جال فيها بمصر وبلاد الشام والعراق، ورجع إلى تونس، وكانت وفاته سنة 685ه/1213م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج22، ص157.

[92] – العمري: مسالك الأبصار، ج2، ص44.

[93] – العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص74.

[94] – عبارة عن معجم جغرافي، ومؤلف الكتاب هو محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، توفي سنة 900ه/1495م، العسقلاني: الدرر الكامنة، ج4،ص32.

أشروسنة أرض يحيط بها من إقليم ماوراء النهر من شرقها بعض فرغانة، ولأشروسنة مدن كثيرة، ويقال أن فيها أربعمائة حصن، ولها واد عظيم يأتي من نهر سمرقند، ويوجد في ذلك الوادي سبائك الذهب"[95].

خامساً: المصادر التاريخية:

تعد المصادر التاريخية المكتوبة من أهم المصادر التي اعتمد عليه العمري في الموسوعة، بل هي أهمها على الإطلاق، وتقسم إلى:

1- مصادر السيرة النبوية:

أ- كتاب" الروض الأنف في تفسير النبوية" لابن هشام[96]:

ذكره العمري في إطار حديثه عن الجبال في مكة، وفي إطار حديثه عن جبل أحد، وفي إطار حديثه عن الكعبة المشرفة، حيث ذكر:" **واعلم أن الكعبة بنيت في الدهر خمس مرات، إحداهن بناء الملائكة أو أدم أوشيت، والثانية بناء إبراهيم، والثالثة بناء قريش**"[97]. وفي مواضع أخرى.

والنقل عن الروض من خلال المقابلات يلاحظ تفاوت بين النقل الحرفي، والنقل بفوارق، والتصرف بالنقل، والميل نحو الاختصار.

---

[95] – الحميري، محمد بن عبد المنعم ت.900هـ/1495م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس،ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1984م، ص60؛ العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص143.

[96] – كتاب في السيرة النبوية، قصد منه السهيلي شرح سيرة ابن هشام، والمؤلف هو عبد الرحمن بن عبد الله، توفي بمراكش سنة 581هـ/1185م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص143.

[97] – السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله ت.581هـ/1185م: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تح: طه سعيد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1971م، ج1، ص221؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص178.

ب-**كتاب" مختصر الروض الأنف الباسم في السيرة النبوية الشريفة" للذهبي[98]:**

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن بيوت النبي (ص)، حيث قال:" **قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات، حين بنى المسجد، ولا أحسبه فعل ذلك، وإنما كان يريد بيتاً لسؤدة، أم المؤمنين، ثم لم يحتج إلى بيت آخر، حتى بنى لعائشة في شوال سنة اثنتين، وكأنه صلى الله عليه وسلم بناها في أوقات مختلفة، والله أعلم**"[99].

ج- **كتاب" السيرة النبوية" لابن هشام[100]:**

اعتمد عليه العمري في تدوين المادة المتعلقة بالسيرة النبوية الشريفة، فمثلاً حين الحديث عن بناء الكعبة قال:" **فقال ابن هشام: وكانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثماني عشرة ذراعاً[101]**".

وقد اعتمد العمري في نقله عن ابن هشام بالتتابع، حسب التسلسل المتبع في المصدر؛ فبدأ بولاة النبي ص وحاثة الفيل[102]، وختم بوفاة النبي ص[103].

---

[98] – كتاب وضعه الذهبي في شرح سيرة ابن هشام من خلال اختصار الروض الأنف للسهيلي بعد تهذيبه، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748ه/1347م: مختصر كتاب الروض الأنف الباسم في السيرة النبوية الشريفة، تح: عبد العزيز حرفوش، دار البشائر، دمشق، ط1، 2005م، مقدمة التحقيق، ص6.

[99] – الذهبي: مختصر كتاب الروض الأنف الباسم في السيرة النبوية الشريفة، ص260.

[100] – يعد الكتاب من أهم ما ألف في السيرة النبوية الشريفة، وهو اختصار لسيرة ابن اسحق، ومؤلف الكتاب هو هشام بن عبد الملك بن أيوب الحميري، المتوفى سنة218ه/833م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3، ص177.

[101] – ابن هشام، هشام بن عبد الملك ت.218ه/833م: السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادهـ، القاهرة، ط2، 1955م، ج1، ص41؛ العمري: مسالك الأبصار، ج23،ص291.

[102] – العمري: مسالك الأبصار، قسم السيرة النبوية، ص48.

[103] – العمري: مسالك الأبصار، قسم السيرة النبوية، ص256.

مع العلم أن الكثير من الأخبار التي نقلها كانت نقلاً حرفياً، وبعضها الآخر كان بفوارق بسيطة في اللفظ.

د- كتاب" الوفا في أحوال المصطفى" لابن الجوزي[104]:

اعتمد على هذا الكتاب في إثراء المادة العلمية التي جمعها من ابن هشام، وقد بدأ باعتماده دون ذكر اسمه، ولا اسم كتابه، وإنما في آخر المعلومات المنقولة، أورد قائلاً:" **قال ابن الجوزي: فصاحب الحمار عندنا وعند النصارى، المسيح، فلم لا يكون محمد صاحب الجمل؟...**[105]، وكان النقل عن ابن الجوزي، على العموم بشكل حرفي، باستثناء بعض الفوارق البسيطة.

كتب تواريخ البلدان:

أ- كتاب" أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه" للفاكهي[106]:

اعتمد العمري على هذا الكتاب مرة واحدة، وذلك في إطار حديثه عن الجبال في مكة، فقال:" **قال الفاكهي: وبمكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منار مسجد التنعيم جميعه نحو من مائة سقاية**"[107].

---

[104] -هذا الكتاب يتحدث عن السيرة النبوية بكل تفاصيلها، ومؤلف هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، يصل نسبه إلى سيدنا أبو بكر الصديق، من علماء الفقه والسيرة والحديث والتاريخ والطب، توفي سنة 597هـ/1201م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص365.

[105] - ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت.597هـ/1201م: الوفا في أحوال المصطفى، تح: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض، 1976م،ج1، ص109؛ العمري: مسالك الأبصار، قسم السيرة النبوية،ص36.

[106] - كتاب يتحدث عن مكة وأخبارها، ومؤلف الكتاب هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، وهو مجهول تاريخ الولادة والوفاة، وقد كان حياً سنة 272هـ/885م، الفاسي، محمد بن أحمد ت.833هـ/ 1164م : الخط الأمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج2، ص109.

ب- كتاب" أخبار مكة شرفها الله" للأزرقي[108]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن الكعبة المشرفة مشيراً إليه بكنيته، ولقبه، وربما حذف الكنية، كقوله:" **وحكى الأزرقي: أن معاوية كسا الكعبة الديباج، قال: وكانت تكسى يوم عاشوراء، ثم إن معاوية كساها مرتين**"[109].

ج- كتاب" تاريخ دمشق" لابن عساكر[110]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن مسجد دمشق، والمقامات والأماكن الملحقة بدمشق، وأحياناً تتم النقول دون الإشارة إلى اسم الكتاب، أو مؤلفه، وأحياناً يرد اسم المؤلف، وبأشكال متنوعة، وأحياناً تتم النقل الحرفي، وأحياناً لجأ إلى الاختصار، ومنها على سبيل المثال، قوله:" **قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: أقيمت القبة الرخام التي فيها فوارة الماء في سنة تسع وستين وثلاثمائة**".

---

[107] – الفاكهي، محمد بن إسحق ت.280ه/893م: أخبار مكة في قديم الدهر، دار خضر، بيروت، ط2، 1994م، ج3، ص97؛ العمري: مسالك الأبصار،ج1،ص153.

[108] –من أهم الكتب التي تتحدث عن مكة المكرمة وأقدمها، ومؤلف الكتاب هو محمد بن عبد الله، المعروف بالأزرقي، كانت وفاته في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على وجه التقريب، الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص198.

[109] – الأزرقي، محمد بن عبد الله ت. ق3ه/9م: أخبار مكة، أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تح: رشدي الصالح، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983م، ج1،ص201؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص182.

[110] – كتاب تراجم لشخصيات عاشت في دمشق، أو مرت بها، بالإضافة إلى سرد الكثير من الأحداث التاريخية، والتعريف بالكثير من المواقع الجغرافية التي تتعلق بتلك الشخصيات، والكتاب مؤلف من ثمانين مجلد، ومؤلف الكتاب هو علي بن الحسن المعروف بابن عساكر الدمشقي، أحد أئمة العلم، توفي سنة571ه/1175م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص554.

وفي إطار حديثه على خبر الطبري المتعلق بغزو هارون الرشيد للروم سنة 165هـ/782م، قال:" **وقد ذكر الطبري هذه الواقعة في أحداث هذه السنة بهذه المقاصد، وقد ألحقت هذا الفصل بشيء مما ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أبي محمد أبي محمد البطال**"[111].

د- **كتاب" تاريخ إربل" لابن المستوفي[112]:**

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن الديارات القريبة من منطقة إربل، لاسيما الموصل، حيث قال فيما يتعلق بدير إتراعيل:" **قال ابن المستوفي: بينه وبين كفر عزى أقل من ميل، وهو عمار كبير**"[113]. وفي عدة مواضع أخرى، ولاشك أن مادة العمري بحكم فقدان مادة الأصل الموجودة في المصدر تشكل أصلاً بديلاً لما هو مفقود.

111 – هنا أخطأ العمري بذكر كنية(أبي محمد البطال)، وعند ابن عساكر: هو عبد الله أبو يحي المعروف بالبطال، أحد قادة جيش مسلمة بن عبد الملك في حروبه مع الروم، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج33، ص401.

112 – كتاب تراجم اهتم بكل من سكن إربل، أو مر بها من أصحاب الدين، والعلم، والأدب، ويقع في أربع مجلدات، واسمه الكامل: نباهة البلد الخامل بمن وردهـ من الأماثل، والمنشور منهـ الجزء من تاريخ بني العباس، تح: سامي الصفار، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، بغداد، 1980م، ومؤلف الكتاب هو أحمد بن المبارك، والمعروف بابن المستوفي الإربلي، من علماء اللغة، والأدب، والدين، تولى الوزارة سنة 629هـ/1231م، وتوفي بالموصل سنة 637هـ/ 1239م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23،ص49.

113 – العمري: مسالك الأبصار، ج1،ص331.

هـ – كتاب" تاريخ بغداد" للبغدادي[114]:

استفاد منه العمري في ترجمة للحفاظ والفقهاء من أهل الحديث، وقد تنوعت أساليب الإشارة إلى هذا المصدر، بين استخدام الكنية، أو إرفاق اسم الكتاب مع الكنية، وكان النقل حرفياً مع بعض الفوارق البسيطة.

فمن الأمثلة:" **وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن القاضي أبي طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر بن بهلول، قال:" كنت مع أبي في جنازة فجاء أبو جعفر محمد بن جرير..."[115]**.

وعنما ترجم للفقيه محمد بن علي الدامغاني قال:" **قال الخطيب كان يذكر مولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة بالدمغان"[116]**.

و – كتاب" ذيل تاريخ بغداد" للسمعاني[117]:

ورد ذكر السمعاني في أكثر من موضع، ويرجح أن تكون النصوص المنسوبة لهذا المصدر قد جاءت في سياق النقولات عن المصادر الأخرى[118].

---

[114] –كتاب تاريخ مدينة السلام وخبر أبنائها، وذكر كبراء نزلها، وذكر وارديها، وتسمية علمائها، ومؤلف الكتاب هو الخطيب أحمد بن علي البغدادي، توفي في بغداد سنة 463ه/1071م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص92.

[115] –الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت.463ه/1071م: تاريخ بغداد، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج4،ص32؛ العمري: مسالك الأبصار،ج6،ص60.

[116] – البغدادي: تاريخ بغداد،ج3،ص309؛ العمري: مسالك الأبصار،ج6،ص71.

[117] – يعد الكتاب اليوم مفقود. ومؤلفه هو الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني، توفي سنة 562ه/1157م، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748ه/1347م: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م،ج4، ص1316.

[118] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص131،ص133، ص230، ص237.

ز- **كتاب" تاريخ نيسابور" للحاكم[119]:**

اعتمد عليه العمري في إطار الحديث عن الفقهاء الأحناف، ومنها ترجمة الفقيه أبو الفضل محمد بن محمد المروزي، حيث قال:" **قال الحافظ أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: ما رأيت في جملة من كتبت عنهم من أصحاب أبي حنيفة أحفظ الحديث، وأهدى إلى رسومه...**"[120].

ح- **كتاب" ذيل تاريخ بغداد" لابن النجار[121]:**

ورد ذكر ابن النجار في أكثر من موضع[122]، وقد أورد العمري في ترجمة المؤلف ابن النجار، فقال:" **وجمع تاريخ مدينة السلام ذيل به، واستدرك فيه على الحافظ أبي بكر الخطيب، ومقداره ثلاثمائة جزء**"[123].

[119] – كتاب يؤرخ لمدينة نيسابور، ويعد الكتاب اليوم مفقود، ومؤلف الكتاب هو محمد بن عبدالله النيسابوري، المعروف بالحاكم، ولد في نيسابور ونشأ فيها، وتولى قضائها، وتنقل بين العراق وبلاد خراسان، وبلاد ماوراء النهر، والحجاز، لهـ كتب عديدة ، توفي سنة 405هـ/1014م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص163.

[120] – الحاكم، محمد بن عبد الله ت.405هـ/1014م: تاريخ نيسابور- طبقة شيوخ الحاكم_، تح: مازن البروتي، ط1، دار البشائر، بيروت،2006م، ص478؛ العمري: مسالك الأبصار،ج6،ص62.

[121] –يعد ذيل تاريخ بغداد لابن النجار من أهم الذيول على تاريخ بغداد، وذلك لأنه احتوى على ذيل تاريخ بغداد للسمعاني، وذيل تاريخ بغداد للدبيثي، ومعظم الكتاب في حكم المفقود، ومؤلف الكتاب هو محمد بن محمود البغدادي، المعروف بابن النجار، أحد مشاهير الحفاظ، توفي سنة 643هـ/1245م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج5، ص8.

[122] – العمري: مسالك الأبصار،ج5،ص244،238،235.

[123] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص245.

ط- كتاب" بغية الطلب في تاريخ حلب" لابن العديم[124]:

اعتمد العمري على الكتاب للحديث عن الفقهاء، فعلى سبيل المثال قال:" **قال الصاحب أبو القاسم ابن العديم: أخبرني والدي، قال: لما فتح نور الدين محمود المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلاوية بحلب لأصحاب أبي حنيفة، استدعى البلخي، فجاء ومعه جماعة من الفقهاء، ودخلها، وألقى بها الدروس**"[125].

ي- كتاب" المقتبس في أخبار بلد الأندلس" لابن حيان[126]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن دول الحسنيين، وتحديداً عندما تحدث عن القاسم بن إدريس الثاني، فقال:" **وذكر ابن حيان وقائعه مع عسكر المستنصر الأموي...**".

وقد اتصف نقل العمري عن هذا المصدر بالاختصار والتصرف، كما أن النقل كان نقلاً حرفياً مع وجود بعض الفوارق، ويلاحظ أن هذا المصدر يعد من أهم مصادر العمري ، وأكثر من ثلثي المادة العمرية المتعلقة بالدولة الأموية في الأندلس.

---

[124] -كتاب يؤرخ لمدينة حلب ولأعلام هذه المدينة، ومن مر بها عليها على غرار الكتب الأخرى كتاريخ دمشق، ومؤلف الكتاب عمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم، توفي في مصر سنة660ه/1262م، الكتبي: فوات الوفيات، ج3،ص126.

[125] – الترجمة من مفقودات بغية الطلب، وقد وردت أجزاء منها في زبدة الحلب، ابن العديم، عمر بن أحمد ت.660ه/1262م: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ص331.

[126] – كتاب يتحدث عن تاريخ الأندلس خلال الفترة الأموية، وهو في قسم كبير منه في حكم المفقود، والمؤلف هو حيان بن حسين بن حيان القرطبي، توفي سنة 469ه/1076م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص370.

2- **كتب التراجم:**

أ- **كتاب" وفيات الأعيان وأنباء أنباء الزمان" لابن خلكان[127]:**

يعد الكتاب من أهم المصادر التاريخية التي اعتمد عليها العمري، في عدة مواضع ومنها في إطار كما اعتمد العمري في حديثه عن الآثار المشهورة، عندما تحدث عن قصر العباس، قال:" **حكى قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن خلكان في تاريخه، قال: مر أبو الربيع قرواش بن المقلد بن المسيب بقصر العباس بن عمرو وكان مطلاً على بساتين ومياه كثيرة فتأمله، فإنه في حائط منه مكتوب...**"[128]،واعتمد العمري على كتاب الوفيات الذي خصه لأصحاب اللغة والنحو والفقه والبيان، فدون من خلاله ثلاثا وعشرين ترجمة خاصة بمشاهير علماء اللغة في الجانب الشرقي، من أصل سبعة وعشرين، وعدد آخر من ترجمات الجانب الغربي، ونقل من مشاهير علماء النحو لتسع وعشرين ترجمة خاصة بعلماء الجانب الشرقي، وثمان ترجمات خاصة بالجانب الغربي، وواحدة عندما تحدث عن علماء النحو في مصر، كذلك استقى العمري ترجمة لأصحاب الموسيقى والغناء، وترجم نقلاً عن ابن خلكان لمشاهير الوزراء، وعدد ليس بالقليل من النقول[129].

---

[127] – كتاب تاريخي ينتمي إلى فئة التراجم بالدرجة الأولى، إلا أنه أيضاً يحتوي على مواد أدبية بالغة الأهمية، وقد تنوعت تراجمه، فمنها ماكان للخلفاء والأمراء والوزراء، ومنها ماكان للعلماء وغيرهم، ومؤلف الكتاب هو المؤرخ الأديب الفقيه أحمد بن محمد، قاضي القضاة، المعروف بابن خلكان، ولد بإربل قرب الموصل، وتولى قضاء مصر، ومن ثم قضاء الشام، كما أنه درس في مدارسها، وكانت وفاته سنة 681هـ/1282م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7،ص201

[128] – ابن خلكان، أحمد بن محمد ت.681هـ/1282م: وفيات الأعيان، ج5، ص261؛ العمري: مسالك الأبصار،ج1، ص293.

[129] – العمري: مسالك الأبصار،ج5، ص120، 196، 275، 325،...

ب- كتاب" معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار" للذهبي[130]:

اعتمد العمري على الكتاب للحديث عن القراء والحفاظ والمحدثين، فنقل عنه تسعاً وأربعين ترجمة خاصة بقراء الجانب الشرقي، وعشرة تراجم خاصة بقراء الجانب الغربي، ونقل عن قراء الديار المصرية خمس ترجمات، وقد امتاز النقل بأنه كان حرفياً مع بعض الفوارق في اللفظ[131].

ج- كتاب" تذكرة الحفاظ" للذهبي[132]:

اعتمد عليه العمري في الحديث عن القراء والحفاظ، وفقهاء المحدثين، دون نسبة المعلومات إلى المصدر، فنقل عنه ستاً وأربعين ترجمة خاصة بحفاظ الجانب الشرقي، وخمس ترجمات لحفاظ الجانب الغربي، وألحق بالجانب الغربي حفاظ مصر[133].

[130] -كتاب في طبقات القراء، جزئين، الأول يحوي على 460 ترجمة، والثاني على 274ترجمة، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748ه/1347م: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح: بشار عواد وشعيب أرناؤوط وصالح عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط2، 1988م،ج1،ص23.

[131] - العمري: مسالك الأبصار،ج5،ص73، 144،156...

[132] - هو كتاب في طبقات حفاظ الحديث الشريف، مجموع الترجمات فيها 1176 ترجمة، الذهبي: تذكرة الحفاظ، ص21.

[133] - العمري: مسالك الأبصار،ج5، ص173، ص249،...

د- كتاب" طبقات الفقهاء" للشيرازي[134]:

اعتمد العمري على الكتاب وخاصة عندما أفرز مادة بفقهاء الظاهرية، حيث قال:" **وسنذكر بعدهم مشاهير الفقهاء الظاهرية، الآخذين بالظاهر دون التأويل، وإنما ذكرناهم معهم، وأعقبنا بهم جميعهم اقتداء بالشيخ العلامة أبي إسحاق الفيروز آبادي رحمه الله، إذ ذكرهم في طبقات الفقهاء، وجعلهم فرقة خامسة، ولم يكن إلا التسليم، وإن أمكن فيه المنافسة، وإمامهم..."[135].**

هـ- كتاب "الوافي بالوفيات" للصفدي[136]:

اعتمد عليه العمري عند الحديث عن أصحاب اللغة والنحو والبيان، فمثلاً عند الحديث عن علي بن داوود بن يحي القرشي، قال: "**شيخ أهل الربوة في عصره، قال أبو الصفاء الصفدي: وله التندير الحلو والنديب الرائق، يكثر من ذلك في كلامه، ويشحن أشغاله الطلبة بالزوايد، ويورد لهم النوادر والحكايات الظريفة والوقائع الغريبة المضحكة"[137].**

---

[134] – عبارة عن تراجم موجز في تراجم الفقهاء، وقد تناولهم بدءاً من فقهاء الصحابة، ومن ثم فقهاء التابعين بحسب الأمصار، ومن فقهاء المذاهب الخمسة، ومؤلف الكتاب هو ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز آبادي، ولد في فيروز آباد، ومن ثم انتقل إلى بغداد، ودرس في مدارسها النظامية، توفي سنة 476هـ/1083م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج1، ص29.

[135] – العمري: مسالك الأبصار،ج6،ص309.

[136] – الكتاب أشبه ما يكون بموسوعة في التراجم، حيث حوى أكثر من 12000ترجمة، بدأها بترجمة للنبي صلى الله عليه وسلم، وشملت كلاً من الخلفاء الراشدين، والصحابة، والتابعين، والملوك، والأمراء، والوزراء، والقضاة، والعلماء، والأطباء، ومؤلف الكتاب هو خليل بن أيبك الصفدي أحد مصادر العمري السماعية، ومن أعز أصحابه، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج1، ص7.

[137] –الصفدي: الوافي بالوفيات، ج21، ص58؛ العمري: مسالك الأبصار،ج7، ص190.

وكذلك استعان به عند الحديث عن مشاهير فلاسفة المغاربة وحكمائها بالأندلس، وأيضاً عند الحديث عن الفقراء والمتصوفين، وشعراء العصر العباسي[138].

و – كتاب" مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار" لابن خميس[139]:

اعتمد عليه العمري عند حديثه عن مشاهير الفقراء والصوفية، فدون سبع وثلاثين ترجمة متعلقة بمتصوفي الجانب الشرقي، وثلاث ترجمات متعلقة بالجانب الغربي، وأربع أخرى خاصة بمصر.

والنقل كان مخالفاً لمنهج التتابع، وفاضل بين الزهاد، كما امتاز بحرفيته مع بعض الفوارق البسيطة، مما ساهم في انتاج مادة عمرية خاصة تمتاز بالشمولية والاختصار إلى حد كبير[140].

ز – كتاب" سير أعلام النبلاء" للذهبي[141]:

اعتمد عليه العمري في الجزء الذي خصه للحديث عن مشاهير الفقراء والصوفية، فمثلاً عند الحديث عن الشيخ عبد القادر الجيلي، قال:" **وقال الشيخ عبد القادر:**

---

[138] – العمري: مسالك الأبصار،ج8، ص227؛ ج9، ص162؛ ج16، ص307،..

[139] – عبارة عن كتاب تاريخي ينتمي إلى فئة التراجم، يتضمن 109 ترجمة خاصة بالمتصوفين، ومؤلف الكتاب هو مجد الدين الحسين بن نصر بن محمد، المعروف بابن خميس الكعبي، أخذ الفقه عن أبي حامد الغزالي في بغداد، توفي سنة 552ه/1157م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج13، ص51.

[140] – ابن خميس، الحسين بن نصر ت.552ه/1157م: مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، مركز زايد للتراث والتأريخ، العين، ط1، 2006م، ج1،ص15، ص22، ص50؛ العمري: مسالك الأبصار،ج8، ص22، ص27،ص241.

[141] – يعد الكتاب من أهم كتب التراجم، وقد احتوى على 6093 ترجمة موزعة على 35طبقة حسب الوفيات، بدأها بأبي عبيدة الجراح وختمها بالسلطان الملك المنصور نور الدين علي ابن السلطان الملك المعز أيبك، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج2،ص1015.

طالبتني نفسي يوماً بشهوة، فكنت أضاجرها، وأدخل في درب، وأخرج من أخر أطلب الصحراء، فرأيت رقعة ملقاة، فإذا فيها ما للأقوياء والشهوات..."[142].

ح- كتاب" عيون الأنباء في طبقات الأطباء" لابن أبي أصيبعة[143]:

اعتمد عليه العمري في الترجمات الخاصة بمشاهير الفلاسفة والحكماء والأطباء، فقال:" **قال ابن أصيبعة: أما هرمس الأول، وهو المثلث بالنعم، فإنه كان قبل الطوفان، وهرمس: لقب كما يقال كسرى وقيصر، تسميه الفرس في سيرها: اللهجد، وتفسيره: ذو عدل"[144].**

وفد امتاز نقل العمري من عيون الأنباء بأنه كان نقلاً حرفياً، وربما في التصرف أحياناً، وأحياناً يستخدم صيغة صاحب تاريخ الأطباء.

وذكر في مؤلفه الأطباء اليونانيين، ومشاهير الفلاسفة في الجانب الشرقي، وأطباء بلاد الشام، والأطباء في بلاد المغرب، والأطباء السريان، وطبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر، والأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم، والأطباء المشهورين في مصر[145].

---

[142] – والنص في كتاب السير، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20، ص444؛ العمري: مسالك الأبصار،ج8، ص119.

[143] – يعد من أفضل الكتب التي ألفت في تراجم الأطباء والحكماء، عرّف بكيفية وجود الطب، ومن ثم التعريف بالأطباء العرب، والسريان، والنقلة من اليونانية إلى العربية، وأطباء العراق، وبلاد العجم، والهند، وبلاد المغرب، ومصر، والشام، ومؤلف الكتاب هو الطبيب والأديب والمؤرخ أحمد بن القاسم ، المعروف بابن أبي أصيبعة، المتوفى في صرخد سنة 668هـ/1270م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص229.

[144] – ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء،ص31؛ العمري: مسالك الأبصار،ج9، ص20.

[145] – العمري: مسالك الأبصار، ص29، 43، 285، 293، 417، 475،...

ط- كتاب" الوزراء والكتاب" للجهشاري[146]:

اعتمد عليه العمري عند الحديث عن مشاهير وزراء الجانب الشرقي، فمثلاً عند الحديث عن الوزير روح بن زنباع الجذامي، قال:" **وذكر صاحب كتاب الوزراء والكتاب، أنه قد كلم يزيد بن معاوية، له ولقومه، أن يلحقهم في العطاء بإخوانهم، فقال له: إن اجمع عليك قومك فنحن جاعلوك حيث شئت**"[147].

وكرر العمري بعد ذلك اعتماده عليه تارة بنسبة المعلومات إليه بذكر لقبه فقط، وتارة بإضافة اسم الكتاب مختصرا إلى اللقب، وقد امتاز النقل بأنه كان في معظمه حرفياً مع بعض الفوارق، كما امتاز النقل بالانتقائية والاختصار.

[146] -كتاب تاريخي يوثق لكتابة الإنشاء في الدولة الإسلامية وتاريخ الوزارة منذ البدايات الأولى لقيام هذه الدولة وحتى نهايات القرن الثالث الهجري، ويوجد قسم من الكتاب مطبوع، وقسم مفقود، ومؤلف الكتاب هو محمد بن عبدوس الجهشاري، وقد عرف بالجهشاري لأن أباه كان يعمل مع أبي الحسن علي بن جهشيار حاجب الموفق، توفي في بغداد سنة 331هـ/943م، الصابئ، الهلال بن محسن ت.448هـ/1056م: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، مكتبة الأعيان، عمان، د.ت، ص4.

[147] – الجهشاري، محمد بن عبدوس ت.331هـ/943م: الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ط1، 1938م،ص35؛ العمري: مسالك الأبصار، ج11، ص20.

ي- كتاب" بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء" لعلي بن محمد الروحي[148]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن دول الحسنيين، وذلك عندما تحدث عن دولة علي بن حمود[149]، موضحاً دوره في مقتل سليمان بن الحكم الأموي(345-407هـ/965-1016م) وتأسيس الدولة الحمودية[150]، وفي عدة نقول أخرى، وقد تناسب النقل مع حجم الكتاب الصغير، إذ اقتصر على عدة مواضع ، وكانت إشارة العمري إلى هذا المصدر باستخدام عبارة: صاحب بلغة الظرفاء[151]، وربما دل على جهل العمري باسم مؤلف الكتاب.

3- كتب التواريخ العامة والحولية:

وهي الكتب التي تتحدث عن التاريخ بشكل عام، بنظرة كلية، وفق السنوات، وتتمثل ب:

أ-كتاب" زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة" لبيبرس الدوادار المنصوري[152]:

اعتمد عليه العمري لمرة واحدة، في إطار الحديث عن جزيرة سيلان، فقال:" **وبها معادن الذهب التي لا توجد بمكان أكثر مما هي عليه،...، وقد ذكر بيبرس الداوار**

---

148 - عبارة عن كتاب في تراجم حكام الدولة الإسلامية بدءاً من النبي صلى الله عليه وسلم، ومن جاء بعده من الخلفاء، ومؤلف الكتاب هو علي بن أبي عبد الله محمد الروحي، فقيه ومؤرخ، توفي سنة 648هـ/1250م، حاجي خليفة: كشف الظنون، ج1، ص252.

149 - علي بن حمود بن ميمون، الملقب بالناصر، صاحب سبتة، مؤسس الدولة الحمودية، قتله غلمانه الصقالبة سنة 408هـ/1018م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج21،ص54.

150 - الروحي، علي بن محمد ت.648هـ/1250م: بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، القاهرة، 1909م، ص40؛ العمري: مسالك الأبصار،ج24،ص51.

151 - العمري: مسالك الأبصارج24، ص24.

152 - كتاب عام وحولي يتكلم عن تاريخ الإسلام منذ البدايات الأولى وحتى سنة 709هـ/1309م، ويتألف من 11مجلد، ومؤلفه هو بيبرس المنصوري الدوادار، أحد الأمراء المماليك في مصر، تولى للسلطان المنصور الكرك، وتدرج في المناصب حتى أصبح نائب للسلطنة في الديار المصرية، ثم أصبح السلطان ، توفي سنة 725هـ/1325م، ابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص120.

المنصوري في تاريخه المسمى زبدة الفكرة: أنه قد وصل في سنة اثنتين وثمانين وستمائة رسول صاحب سيلان إلى الباب المنصوري قلاوون، واسمه الحاج سابور عثمان بكتاب في حق ذهب لم يوجد من يقرأه،...[153]"

ب-**كتاب" تاريخ الرسل والملوك" للطبري[154]:**

اعتمد عليه العمري عندما تكلم عن عظمة القسطنطينية كإحدى ممالك الروم، حيث قال:" **ومما أقول على عظمة القسطنطينية غزوة هارون الرشيد لها سنة خمس وستين ومائة،.، قال أبو جعفر الطبري: وسار هارون..."[155].**

وكرر النقل في موضعين آخرين، عندما تكلم عن مملكة الشام[156].

ج- **كتاب" كتاب" المختصر في أخبار البشر" لأبي الفداء[157]:**

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن قبائل العرب الموجودين في زمانه، فتكلم عن العرب البائدة، والعرب العاربة، والمستعربة، وكان النقل حرفياً؛ حيث احتوت المادة المنقولة على ست عشرة أمة، بدأها بأمة السريان والصابئين، وختمها بأمم العرب، موافقاً الترتيب في كتاب المختصر، ونقل عن حكام بني إسرائيل، مثلاً:" **قال الملك المؤيد**

---

[153] – بيبرس المنصوري ت.725ه/1325م: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة(605-709ه)، تح:دونالد، ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م، ص235؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1،ص436.

[154] – كتاب تحدث فيه المؤلف عن أخبار الخليقة منذ عهد آدم عليه السلام وصولاً إلى عصره، ومؤلفه هو المفسر محمد بن جرير، مؤرخ، تنقل بين بلاد ما وراء النهر والعراق ومصر، واستقر به المقام في بغداد، الطبري، جعفر بن جرير ت.310ه/923م : تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت،ج1، ص6،

[155] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8، ص152؛ العمري: مسالك الأبصار،ج3،ص266.

[156] – العمري: مسالك الأبصار، ج3،ص378.

[157] – كتاب تاريخي عام وشامل حولي.

المذكور: لم أجد في نسخ التواريخ التي وقعت في هذا الفن ما أعتمد على صحته...، ولليهود الكتب الأربع والعشرون،..."[158].

وفي إطار حديث العمري عن حوادث تاريخ الإسلام، كرر العمري اعتماده على كتاب المختصر، وكان النقل أحياناً بالتتابع، وأحياناً لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ونقلها، وأحياناً كانت اختصارات وأحياناً إضافات على المادة المنقولة[159].

د- **كتاب" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" لابن الجوزي[160]:**

اعتمد عليه العمري عند الحديث عن الفقهاء، قال:" **قال ابن الجوزي في المنتظم: طلبت أم المقتدر من القاضي أبي جعفر كتاب وقف ضيعة كانت ابتعتها، وكان الكتاب في ديوان القضاء، وأرادت أخذه لتحرقه وتبطل الوقف، فرفض القاضي تسليم الكتاب على الرغم من تدخل الخليفة المقتدر، فكبر في أعينهم"[161].**

---

158 – أبو الفداء: المختصر؛ العمري: مسالك الأبصار،ج25،ص11.

159 – العمري: مسالك الأبصار، ج25، ص26 ، ص150؛ ج26، ص234،...

160 – كتاب عام وشامل جامع حولي، ومؤلف الكتاب هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، المعروف بابن الجوزي، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت. : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عطا الله ومصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، 1995م، ج1،ص115.

161 – ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص294؛ العمري: مسالك الأبصار،ج6،ص61.

هـ – كتاب" ذيل مرآة الزمان" لقطب الدين ابن اليونيني[162]:

اعتمد عليه في ترجمة عدد من مشاهير علماء النحو، والوزراء، والشعراء[163].

و – كتاب" مرآة الزمان في تواريخ الأعيان" لسبط ابن الجوزي[164]:

اعتمد العمري عليه في سياق حديثه عن نسب آل أبي طالب، فقال:" **ومما ذكره الشيخ سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان مما ذكره عن أسماء بنت عميس: قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال: يا علي، أصليت العصر؟ قال: لا يا رسول الله، فقال رسول الله: اللهم أنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فلقد رأيتها غربت، ثم طلعت بعد ما غربت**"[165].

---

[162] – كتاب تاريخي يعتمد على المنهج الحولي، متضمناً وفيات كل سنة من المشاهير، في فصل خاص في آخرها، بدءاً من سنة 654ه/1256م، وحتى سنة 686ه/1287م، والكتاب عبارة عن تذييل لكتاب مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لأبي مظفر سبط ابن الجوزي، ومؤلف الكتاب هو موسى بن محمد اليونيني، البعلبكي، المتوفى سنة 726ه/1326م، ابن كثير: البداية والنهاية، ج14،ص126.

[163] – اليونيني، موسى بن محمد ت.726ه/1326م: ذيل مرآة الزمان، ط1، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد–الهند، 1954م، ج2، ص 175، 392؛ ج3، ص76؛ العمري: مسالك الأبصار،ج6، ص216؛ ج7، ص183،181، 185.

[164] –كتاب عام شامل حولي، ومؤلفه هو أبو المظفر يوسف بن يوسف بن قزأوغلي، سبط أبو الفرج ابن الجوزي، توفي سنة 654ه/1256م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23،ص296.

[165] – سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي ت.654ه/1256م: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات، دار الرسالة العلمية، دمشق، ط1، 2013م، ج6، ص443؛ العمري: مسالك الأبصار،ج23،ص486.

ز- كتاب" تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" للذهبي[166]:

اعتمد عليه العمري في الحديث عن مشاهير الفقراء والصوفية، وتم النقل حرفياً، مع الإشارة إلى الذهبي في سياق الخبر، بذكر الكنية واللقب والدرجة العلمية[167].

ح- كتاب" الكامل في التاريخ" لابن الأثير[168]:

اعتمد العمري على الكتاب الذي يتحدث عن مشاهير الوزراء، فقال في سياق الترجمة الخاصة بالوزير الشريف علي بن طراد الزينبي، :" **قال ابن الأثير: جرى بين المقتفي وبين ابن طراد منافسة، وسببها أنه كان يتعرض على الخليفة في كل ما يأمره به**"[169].

وأضاف العمري نصوصاً استقاها من كتاب الكامل على سبيل النقد والمقابلة مع نصوص ابن هشام المتعلقة بالسيرة النبوية، وكذلك الخلفاء الراشدين،

وجدد العمري الاعتماد على ابن الأثير عند الحديث عن الدولة العباسية، وكذلك الدولة الأموية في الشرق وفي الأندلس، وتحدث عن المعز الفاطمي(341-

---

[166] -كتاب عام شامل لتاريخ الإسلام، حولي في عرض مادته المقسمة إلى قسمين: حوادث ووفيات، من بدايات الإسلام حتى سنة 700هـ/1301م، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج1، ص22.

[167]-الذهبي: تاريخ الإسلام، ج5،ص292؛ج44،ص338؛ ج46،ص118؛ العمري: مسالك الأبصار،ج8،ص18، ص131، ص139،ص146.

[168] - كتاب عام حولي، تحدث فيه المؤلف عن أخبار الخليقة منذ عهد سيدنا آدم عليه السلام، وصولاً إلى سنة ثمان وعشرين وستمائة، ومؤلف الكتاب هو عز الدين علي بن محمد ، المعروف بابن الأثير، ولد بجزيرة عمر، والمتوفى سنة 630هـ/1233م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج3،ص348.

[169] - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9،ص315؛ العمري: مسالك الأبصار،ج11،ص145.

365هـ/953-975م) فقال:" **وذكر ابن الأثير: أن ملك الروم كان قد أرسل إلى المعز رسولاً بالمهدية، ثم كان يتردد إليه، فأتاه وهو بمصر فخلا به بعض الأيام**[170]".

ط- **كتاب" طبقات الأمم وتعاقب الهمم" لابن صاعد**[171]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن طوائف المتدينين، قال:" **وقال أبو القاسم صاعد بن أحمد: أما الأمة الأولى الهند، فكثيرة العدد، وعظيمة القدر، فخمة الممالك، وقد اعترف لها**

بالحكمة، وبالتبريز في المعرفة جميع الملوك السالفة والأمم الخالية"[172].

ي- **كتاب" تجارب الأمم وتعاقب الهمم" لابن مسكويه**[173]:

اعتمد العمري عليه عند حديثه عن دولة الحسنيين، وبالتحديد عن دولة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، حيث قال:" **ومن كتاب تجارب الأمم، أنه قاسى شدائد في اختفائه، حتى أنه أكل على موائد المنصور**"[174].

---

[170] – ابن الأثير: الكامل، ج7،ص360؛ العمري: مسالك الأبصار،ج24، ص80.

[171] – عبارة عن كتيب صغير لكنه عام في موضوعه ومادته، ويتحدث عن الأمم القديمة، واختلاف الأمم، والأمم التي اعتنت بالعلوم، والأمم التي لم تعن بالعلوم، والمؤلف هو صاعد بن أحمد ، قاضي طليطلة في أيام يحي بن ذي النون، توفي سنة 460هـ/1070م، ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك ت. 578هـ/1183م: الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط1 1989م، ج1، ص270.

[172] – ابن صاعد: طبقات الأمم، ص11؛ العمري: مسالك الأبصار، ج23، ص173.

[173] – الكتاب تاريخي عام حولي، ابتداء من سنة 99هـ/718م وصولاً إلى سنة 369هـ/979م، والكتاب ينحو في منهجه باتجاه فلسفة التاريخ، والمؤلف هو أحمد بن محمد ، المعروف بابن مسكويه، ويعد من فلاسفة الإسلام، توفي سنة 421هـ/1030م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص72.

4- كتب التاريخ للأشخاص والدول:

أ- كتاب" جهان كشاي(تاريخ فاتح العالم) لعلاء الدين عطا ملك الجويني[175]:

اعتمد ابن العمري على هذا الكتاب في إطار حديثه عن مملكة جنكيز خان، وتحدث عن كيفية تدرج جنكيز خان في الوصول إلى السلطة، منذ أن أعجب به أونك خان زعيم المغول، وتقريبه له، مروراً بالدسائس التي حيكت لتقليب أونك خان عليه، وصولاً إلى فراره، واشتداد شوكته، وتجمع القبائل حوله، فقال:" **حكى صاحب علاء الدين عطا ملك الجويني: أنه كان ملك عظيم في قبيلة عظيمة يدعى أونك خان، وكان مطاعاً في قبيلته، ينقاد إليه عظماء رعيته، فتردد إليه جنكيز خان في حال صباه، وقربه وأدناه، حتى نشأ بينهما الاتحاد، وانتسج الوداد، فشبت نار الحسد في أقرباء ذلك السلطان**"[176].

وواصل بعد ذلك تقديم نبذة عن عقيدة جنكيز خان، وياسته، وشيئاً من سيرته، وواصل الحديث عن أبناء جنكيز خان[177].

---

[174] – ابن مسكويه، أحمد بن محمد ت. 421هـ/ 1030م: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م،ج3،ص96؛ العمري: مسالك الأبصار، ج24،ص22.

[175] – جهان كشاي: ومعناه تاريخ فاتح العالم، هو كتاب يتحدث عن تاريخ المغول، خطه المؤلف باللغة الفارسية، وترجم إلى العربية، ومؤلف الكتاب هو علاء الدين عطا ملك بن محمد بهاء الدين الجويني، وقد كان ممن تولى العراق للمغول قرابة إحدى وعشرين سنة، توفي سنة 681هـ/1282م، الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص452.

[176] – الجويني، كيخسروا بن عمر ت.681هـ/1282م: جهان كشاي- تاريخ فاتح العالم، تح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: محمد السباعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2007م، ج1، ص74؛ العمري: مسالك الأبصار، ج3،ص94.

[177] – العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص101...

ب- كتاب" الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لأبي شامة[178]:

اعتمد العمري عليه في ترجمة لبعض الفقهاء، وفي الوقوف على حقيقة خبر موقف صلاح الدين الأيوبي من دعوة العاضد لدين الله له في مرض وفاته بقصد الوصية[179].

5- كتب المغازي:

أ- كتاب" فتوح البلدان" للبلاذري:

اعتمد عليه العمري عند حديثه عن مملكة الشام، فقال:" قال البلاذري: **ولما فتح المسلمون بصرى أتاهم صاحب أذرعات[180] فصولح على مثل ما صولح أهل بصرى"[181].**

وكرر الاعتماد عليه في ثلاثة مواضع أخرى، باستخدام نفس الصيغة.

---

178 – كتاب تاريخي يتحدث عن الدولة النورية نسبة إلى نور الين محمود، والدولة الصلاحية نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي، والمؤلف هو عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ثم الدمشقي، ولقب بأبي شامة لشامة كانت فوق حاجبه الأيسر، صاحب التصانيف، توفي سنة 665ه/1257م، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج7، ص164.

179 – العمري: مسالك الأبصار، ج8، ص125،127،...

180 – أذرعات: هو بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء عمان، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص130.

181 – البلاذري، أحمد بن يحي ت. 279ه/892م: فتوح البلدان، تح: عبد الله الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت، ص172؛ العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص361.

6- كتب الأنساب:

أ-كتاب" جمهرة نسب قريش وأخبارها" للزبير بن بكار[182]:

اعتمد عليه العمري في إطار حديثه عن نسب آل أبي طالب، فمثلاً قال: "**فيما يتعلق بالحسين رضي الله عنه، وذكر ابن بكار عن الحسين عن رسول الله، إن الله يحب معالي الأمور**"[183]. ونقول أخرى.

وبالتالي فإن إفادة العمري عن هذا المصدر لم تتوقف عند نقل المادة العلمية، وإنما تعدى الأمر ذلك إلى تنسيقات هذه المادة، مما ساهم في حفظ نسخة أقرب ما تكون إلى الأصل المفقود من كتاب جمهرة أنساب قريش.

ب- كتاب "كنوز المطالب في آل أبي طالب" لابن سعيد المغربي[184]:

اعتمد العمري عليه في معظم المادة التي أوردها عن نسب آل بيت أبي طالب رضي الله عنه، حيث قال في إطار حديثه عن أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب:" **ومن كنوز المطالب: أن الحسن المثنى ولد أيضاً إبراهيم الغمر، وجعفرا، وداوود، وزيدا، وسنأتي على ذكرهم، ومافي الكنوز من جواهرهم الثمينة بعد الانتهاء فيما قاله ابن بكار**"[185].

---

[182] – من أهم أصول الأنساب لما يتمتع به من التنوع والدقة، ويعد في حكم المفقود، ومؤلف الكتاب هو النسابة والأخباري الزبير بن بكار، كان ممن ولي قضاء مكة، توفي سنة 256هـ/870م، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج2، ص311.

[183] – ابن بكار، الزبير ت. 256هـ/870م: جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: عباس الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج1، ص45.

[184] –كتاب يتحدث عن آل علي بن أبي طالب، ولكن للأسف الكتاب مفقود، والمؤلف معرف سابقاً،

[185] – العمري: مسالك الأبصار، ج23، ص571.

وتكرر الاعتماد على هذا المصدر بالجمع بينه وبين البيهقي تارة، وبالمناوبة مع الزبير بن بكار تارة أخرى، وقد تنوعت الأساليب بالإشارة إلى هذا المصدر، فتارة بذكر الكنية، بقوله:" **قال ابن سعيد**"[186]، وتارة بذكر اسم الكتاب مختصراً، كقوله:" **ومن كنوز المطالب**"[187].

ج- **كتاب" أنساب الأشراف" للبلاذري**[188]:

اعتمد عليه العمري أثناء حديثه عن الدولة الأموية في المشرق، والدولة العباسية، ومن الأمثلة:" **وحكى البلاذري قال: ما كان المنصور يستصبح إلا بالزيت في القناديل، وربما خرج إلى المسجد ومعه من يحمل سراجاً بين يديه**"[189].

وهناك نقول كثيرة أخرى، لعبت دوراً كبيراً في تكوين المادة العمرية المتعلقة بالدولة العباسية، والدولة الأموية في الشرق، حيث شكلت معظم تلك المادة.

---

[186] – العمري: مسالك الأبصار، ج23،ص534.

[187] العمري: مسالك الأبصار،ج23، ص560.

[188] – يعد الكتاب من أهم الكتب التاريخية التي تحدثت في هذا الباب، وقد تناول الحديث عن القبائل العدنانية بدءاً من النبي صلى الله عليه وسلم سيد العدنانيين والبشر جميعاً، ومن ثم انتقل إلى الأشراف الهاشميين، ومن ثم الأمويين بني عبد شمس، ومن بعدهم ما تبقى من بطون قريش، ثم القبائل الأخرى وصولاً إلى قبيلة ثقيف، ومؤلف الكتاب هو الأديب المصنف أحمد بن يحي، المعروف بالبلاذري، توفي سنة 279هـ/892م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص162.

[189] – البلاذري، أحمد بن يحي ت.278هـ/892م: أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م،ج5، ص299؛ العمري: مسالك الأبصار،ج24،ص288.

خاتمة:

توصل البحث إلى الاستنتاجات التالية:

-تم توضيح دور العصر الذي عاش فيه العمري والبيئة المحيطة: الأسرية والاجتماعية والمهنية والعلمية في دعم النبوغ الفكري له، ووصوله إلى ما وصل إليه علمياً ومهنياً.

-كان هناك تميز لأسرة العمري من خلال تتبع سيرة بعض النماذج من أفرادها.

- اقتصرت رحلات العمري على الدولة المصرية في العصر المملوكي، والممتدة على بلاد الشام ومصر والحجاز، وتم تعليل أسباب ذلك.

-بينت الدراسة أن تنوع المصادر السماعية التي اعتمد عليها العمري لم يقتصر على التنوع القائم على الاختصاص، وإنما تجاوز ذلك إلى التنوع المكاني، وذلك وفقاً لمواطن أصحاب هذه الروايات، فكان منهم: الأصفهاني، والقرطبي، والحلبي، والغرناطي، والسمرقندي، واليمني، والبغدادي، والتونسي، وغيرهم كالحبشي والمغربي وكذلك المصري.

- كشفت الدراسة أن تنوع المصادر السماعية التي اعتمد عليها العمري امتازت بالتداخل؛ حيث أن الواحد منهم قد يكون بارعاً في أكثر من مجال.

-أثبتت الدراسة أن المكانة الاجتماعية والعلمية والمهنية للعمري، وصفاته الشخصية، وانفتاحه، كل ذلك لعب دوراً كبيراً في توسع دائرة هذه المصادر، وتنوعها، وتوظيفها التوظيف المناسب.

-بينت الدراسة تنوع المصادر الكتابية التي اعتمد عليها العمري في كتابة الموسوعة، وأنها شملت كتباً فلسفية وطبيعية، وكتباً جغرافية، وكتباً تاريخية، ويوجد كتباً أخرى.

-برهنت الدراسة على مهارة العمري في اختيار مصادره الكتابية، وذلك بناء على وثاقة الصلة بالموضوع.

- بينت الدراسة التفاوت الحاصل في الاعتماد على المصادر الكتابية، بحيث إن أحدها لم يتجاوز الموضع الواحد، بينما مصادر أخرى كانت مادة لما يقارب الجزء وأحياناً أكثر.

-وثقت الدراسة لعدد من الكتب المهمة هي اليوم في حكم المفقود.

-امتازت كتابات العمري بالدقة والأمانة العلمية والموضوعية، وقد كان مدركاً لما ينقله، موظفاً إياه بما يخدم عمله.

مع التمني أن يكون هذا المقال ذو فائدة علمية للمهتمين.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

1- ابن الأبار، محمد بن عبد ت. 658هـ/1270م: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

2- الإدريسي، محمد بن محمد ت.560هـ/1164م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

3- الأزرقي، محمد بن عبد الله ت. ق3هـ/9م: أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، تح: رشدي الصالح، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

4- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم ت.668هـ/1270م: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت، 1980م.

5-البخاري: محمد بن إسماعيل ت.256هـ/869م: الجامع المسن الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه أو صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1983م.

6- ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك ت. 578هـ/1183م: الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.

7-البلاذري، أحمد بن يحي ت. 279هـ/892م: فتوح البلدان، تح: عبد الله الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.

8- البلاذري، أحمد بن يحي ت.279هـ/892م: أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م.

9- ابن بكار، الزبير ت. 256هـ/870م: جمهرة نسب قريش وأخبارها، تح: عباس الجراح، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

10- بيبرس المنصوري ت.725هـ/1325م: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة(605-

709هـ)، تح: دونالد س،ريتشارد، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، 1998م.

11- ابن البيطار، عبد الله بن أحمد ت.646هـ/1228م: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

12- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت. 874هـ/1469م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

13- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت.874هـ/1469م: المنهل الصافي والمستكفي الوافي، تح: محمد محمود أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

14- الجهشاري، محمد بن عبدوس ت.331هـ/943م: الوزراء والكتاب، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشلبي، ط1، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، 1938م.

15- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت.597هـ/1201م: الوفا في أحوال المصطفى، تح: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية، الرياض، 1976م.

16- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت.597هـ/1201م: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عطا الله ومصطفى عطا، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م.

17- الجويني، كيخسروا بن عمر ت.681هـ/1282م: جهان كشاي- تاريخ فاتح العالم، تح: محمد عبد الوهاب القزويني، ترجمة: محمد السباعي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007م.

18- الحاكم، محمد بن عبد الله ت.405هـ/1014م: تاريخ نيسابور- طبقة شيوخ الحاكم_، تح: مازن البروتي، ط1، دار البشائر، بيروت،2006م.

19- الحموي، ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب-معجم الأدباء، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م

20- الحموي، ياقوت بن عبد الله ت. 626هـ/1228م: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

21- الحميري، محمد بن عبد المنعم ت.900هـ/1495م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس،ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1984م.

22- ابن حنبل، أحمد بن محمد ت. 241هـ/856م: مسند أحمد بن حنبل أو المسند، دار صادر، بيروت، 1900م.

23- ابن حوقل، محمد بن علي ت.367هـ/977م: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

24- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت.463هـ/1071م: تاريخ بغداد، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م.

25- ابن خلكان، أحمد بن محمد ت.681هـ/1282م: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م.

26- ابن خميس، الحسين بن نصر ت.552هـ/1157م: مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، ط1، مركز زايد للتراث والتأريخ، العين، 2006م.

27- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وبشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

28- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد حبيب الهيلة، ط1، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م.

29- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: العبر في أخبار من عبر، تح: محمد رشاد عبد المطلب، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1986م.

30- لذهبي، محمد بن أحمد ت.748ه/1347م: مختصر كتاب الروض الأنف الباسم في السيرة النبوية الشريفة، تح:عبد العزيز حرفوش، ط1، دار البشائر، دمشق، 2005م.

31- الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح: بشار عواد وشعيب أرناؤوط وصالح عباس، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.

32- الروحي، علي بن محمد ت.648ه/1250م: بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء، مطبعة النجاح، القاهرة، 1909م.

33- الزمخشري، محمود بن عمر ت.583ه/1143م: الأمكنة والمياه والجبال، تح: إبراهيم السامرائي، مطبعة السعدون، بغداد، 1968م.

34- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي ت.654ه/1256م: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات،ط1، دار الرسالة العلمية، دمشق، 2013م.

35- السبكي، عبد الوهاب بن علي ت.771ه/ 1369م: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناجي، ط2، دار هجر، القاهرة، 1992م.

36- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله ت.581ه/1185م: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تح: طه سعيد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1971م.

37- ابن سينا، الحسين بن محمد ت.428ه/1037م: الشفاء، تح: محمود قاسم، ط2، دار الكاتب العربي، القاهرة، 2012م.

38- الصابئ، الهلال بن محسن ت.448ه/1056م: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تح: عبد الستار فراج، مكتبة الأعيان، عمان، د.ت.

39- ابن صاعد، صاعد بن أحمد ت.462ه/1070م: طبقات الأمم، تح: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912م.

40- الصفدي، خليل بن أيبك ت. 764هـ/1362م: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

41- الطبري، جعفر بن جرير ت.310هـ/923م : تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، د.ت.

42- الثعالبي، عبد الملك بن محمد ت.350هـ/961م: فقه اللغة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1885م.

43- ابن الطفيل، محمد بن عبد الملك ت. 581هـ/1185م: حي بن يقظان، مكتب النشر العربي، دمشق، 1935م.

44- ابن العديم، عمر بن أحمد ت.660هـ/1262م: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

45- ابن عساكر، علي بن الحسن ت.571هـ/1175م: تاريخ دمشق، تح: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.

46- العسقلاني، أحمد بن علي ت. 852هـ/ 1448م: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سالم الكرنكوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م.

47- ابن مسكويه، أحمد بن محمد ت. 421هـ/ 1030م: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: سيد كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

48- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت. 1089هـ/ 1668م: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986م.

49-العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

50-العمري، أحمد بن يحي ت. 749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- القسم الخاص باليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، ط1، دار الاعتصام، القاهرة،

1974م.

51- العمري، أحمد بن يحي ت. 749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- ممالك مصر والشام والحجاز واليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، .1985

52- العمري، أحمد بن يحي ت.749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الله الشريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2003م.

53- العمري، أحمد بن يحي ت.749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

54-الفاسي، محمد بن أحمد ت.833ه/ 1164م : الخط الأمين في تاريخ البلد الأمين، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

55- الفاكهي، محمد بن إسحق ت.280ه/893م: أخبار مكة في قديم الدهر، ط2، دار خضر، بيروت، 1994م.

56- أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت.732ه/1331م: المختصر في أخبار البشر، تح: محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

57- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد ت.851ه/1447م: طبقات الشافعية، تح: عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987م.

58- القزويني، زكريا بن محمد ت.682ه/1283م: آثار البلاد وأخبار العباد، ط3، دار صادر، بيروت، 2011م.

59- القلقشندي، أحمد بن علي ت.821ه/1418م: صبح الأعشى، تح: محمود شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

60- الكتبي، محمد بن شاكر ت. : الوافي بالوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م.

61-ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت. 774هـ/ 1372م: البداية والنهاية، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة،1997م.

62- المراكشي، عبد الواحد بن علي ت. 647هـ/ 1250م: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد العريان، ومحمد العلمي، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1949م.

63- المقريزي، أحمد بن علي ت. 845هـ/1414م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية -، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

64- ابن هشام، عبد الملك بن هشام ت.218هـ/833م: السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1955م،

65- الهروي، علي بن بكر ت. 611هـ/1214م: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

66- النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ/1334م: نهاية الأرب في نهاية الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

67- ابن الوردي، عمر بن مظفر ت. 749هـ/1348م : تتمة المختصر في تاريخ البشر(تاريخ ابن الوردي)، تح: أحمد البداوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

68- اليونيني، موسى بن محمد ت.726هـ/1326م: ذيل مرآة الزمان، ط1، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد-الهند، 1954م.

ثانياً: المراجع

1- إبراهيم، عبد الله: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م.

2- البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثارهم من كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي،
بيروت، 1951م.

3- حلاق، صباغ؛ حسان، عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول
العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

4- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

5- زكار، سهيل: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م.

6- عيسى، إيلين زغيب وأخرون: موسوعة لبنان، مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية، بيروت، 1998م.

7-المنجد، صلاح الدين: وصف دمشق في مسالك الأبصار، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج1،
دمشق، 1957م.

8- المنجد، صلاح الدين: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1967م.

9-اللعيبي، شاكر: حسين بن علي المطري العزاوي، رسام عربي مجهول، دار الخطوط وظلال لنشر والتوزيع،
عمان، 2021م.

10-النهار، عمار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قطعة خاصة بالدولة العباسية، أطروحة ماجستير،
كلية الآداب، جامعة دمشق، 2002م.

منهجية الكتابة التاريخية عند ابن العمري
(700-749هـ/1301-1349م)
في الموسوعة العمرية(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)

د. أمية الغزي

ملخص:

شغل العمري مكانة مرموقة بين علماء عصره، وكان لمؤلفه" مسالك الأمصار في ممالك الأمصار"، والمعروفة بالموسوعة العمرية الشغل الشاغل للعديد من الباحثين والمؤرخين وطلاب العلم على مدى أكثر ما يزيد على القرن، هذه الموسوعة التاريخية الجغرافية النباتية التي تستحق الدراسة والتمحيص، إلا أن جلّ الاهتمام والتركيز كان على قضايا التحقيق، وهذه الدراسة ستركز على منهجية الكتابة عند المؤلف، دراسة تحليلية وصفية ، بهدف الوصول إلى نتائج واضحة المعالم بشأن القضايا ذات العلاقة بحياة العمري.

الكلمات لمفتاحية:

العمري- الموسوعة العمرية- التاريخية- الجغرافية- النباتية- تحليلية- وصفية.

Historical writing methodology according to Ibn al-Amri (700-749 AH/1301-1349 AD) (In the Omariyya Encyclopedia)Paths of Vision in the Kingdoms of the Kingdoms

summary:

Al-Omari held a prominent position among the scholars of his time, and his book “Masalik Al-Amsar fi Kingdoms of Al-Amsar”, known as the Al-Omari Encyclopedia, was the preoccupation of many researchers, historians and students of science for more than a century. This historical-geographical-botanical encyclopedia deserves study and scrutiny, but most attention is given to it. The focus was on investigative issues, and this study will focus on the author’s writing methodology, an analytical and descriptive study, with the aim of arriving at clear-cut results on issues related to Al-Omari’s life.

key words: Al-Omari - the age -historicasl-geographical-botanical-analytical-descriptive encyclopedia.

مقدمة:

ورث المماليك الزعامة الدينية والسياسية والعلمية للعالم العربي والإسلامي، فقاموا بتشجيع الحركة الفكرية ببناء المدارس، والاهتمام بالتعليم، ورعاية العلماء والطلاب والمكتبات.

وكان التركيز أعظم ما يكون على سلامة العقيدة، كما اهتمت مناهج التعليم بالقراءة، والكتابة، والقرآن، والحديث، وقواعد اللغة، والحساب.

ومن مظاهر الحركة الفكرية في ذلك العصر، انتشار المكتبات التي غالباً ما تكون ملحقة بالمدارس، وقد شكلت المساجد أحد المظاهر التي تركت أثرها في الحياة الفكرية، وكان هذا الازدهار يحمل الصبغة الدينية؛ حيث كان من يتجرأ على المساس بالرموز الدينية يحاسب حساباً عسيراً.

في هذه الفترة عاش أحمد بن فضل الله العمري، وعاصر مرحلتها، وقام بتأليف الموسوعة العمرية(مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، التي سيتم دراسة هذه الدراسة من حيث المنهج التاريخي المتبع في تأليفها، وبداية سيتم التعريف بعصر المؤلف وحياته وأسرته وشيوخه، ورحلاته، والوظائف التي عمل بها، ومؤلفاته.

ثم ستهتم الدراسة بتتبع منهج العمري في هذه الموسوعة في أجزائها السبع والعشرين، من خلال التعريف بالمرتكزات المنهجية الأساسية التي اتبعها، من حيث التحضر لكتابتها والاعتناء بالجانب التوثيقي، وتحديد الأطر الزمنية والجغرافية للموسوعة، والتأكيد على الشمولية والاختصار، وأهم المناهج العلمية المعتمدة في الكتابة والبحث، إضافة إلى مشاهدات العمري ومعايناته لما يجي حوله، وتسجيل شهاداته الشخصية حول ذلك.

- **مشكلة البحث وأهميته:**

تكمن إشكالية الدراسة في تتبع منهجية العمري في الأجزاء السبعة والعشرين التي احتوتها الموسوعة العمرية، والوقوف على المصادر التي استقى منها مادته العلمية، وجمعها في مصنف واحد مع إجراء دراسة تحليلية، والدراسة تحمل عنواناً معبراً عن مادتها، وعن محتواها في البحث، وعن الوفاء لهذا المؤلف لما شملته الموسوعة من

الموضوعية والعلمية والأكاديمية، ومناقشة نقاط الضعف والقوة في منهجه المتبع ضمن أطر موضوعية منصفة للقضايا العلمية، وهذا ما فيه أهمية وفوائد للمهتمين في البحث العلمي.

- **أهداف البحث:**

تتلخص أهداف الدراسة في مايلي:

– دراسة المنهج الذي اعتمد عليه العمري في كتابة الموسوعة العمرية، دراسة متأنية ملامسة للمادة العلمية، وتقديم هذه الدراسة في موضع واحد.

– تتبع مرويات العمري التي تعتمد على المشاهدة والمعاينة.

– تتبع المرويات السماعية في الموسوعة العمرية.

– تتبع النقولات الكتابية في الموسوعة العمرية.

– انتاج مادة علمية معبرة عن محتوى ومنهج الموسوعة العمرية في قالب واحد، وذلك بالاعتماد على منهجيات البحث العلمي القائمة على التحليل والوصف والنقد والمقارنة.

- **الدراسات السابقة:**

كانت ولازالت الموسوعة العمرية محل اهتمام الباحثين على مايقارب القرن من الزمان، وذلك منذ أن قام الباحث أحمد زكي باشا بتحقيق الجزء الأول منها في سنة 1342ه/1924م[1].

وقد تتالت بعد ذلك مجموعة من الأعمال الأخرى؛ ففي سنة 1376ه/1957م قام الدكتور صلاح المنجد بنشر قطعة من الموسوعة في مجلة معهد المخطوطات العربية تحت عنوان" وصف دمشق في مسالك الأبصار"[2]، وقد أعاد نشرها في سنة 1406ه/1967م، ضمن كتابه" مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين"[3].

[1] - العمري، أحمد بن يحي ت.749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

[2] - المنجد، صلاح الدين: وصف دمشق في مسالك الأبصار، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج1، دمشق، 1957م، ص113-126.

[3] - المنجد، صلاح الدين: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1967م، ص219.

وفي سنة 1394هـ/1974م قام الدكتور أيمن فؤاد السيد بنشر القسم الخاص باليمن، وفي سنة 1406هـ/ 1985م[4]، نشر القسم الخاص بممالك مصر والشام والحجاز واليمن[5].

وفي التسعينات من القرن العشرين قام الدكتور سهيل زكار بتضمين موسوعته الشامية قسماً خاصاً من مسالك الأبصار يتحدث عن الحروب الصليبية[6].

هذا إلى جانب العديد من الأطروحات الجامعية، من بينها أطروحة الماجستير الخاصة بالدكتور عمار النهار، المقدمة إلى كلية الآداب في جامعة دمشق سنة 1423هـ/2002م والمتعلقة بالقسم الخاص بالدولة العباسية[7]، والقائمة تطول.

- **عرض البحث:**

أولاً: عصر المؤلف

عرف العصر الذي عاش فيه العمري بعصر المماليك، وكانت بداية هذا العصر في سنة 648هـ/1250م، ونهايته في سنة 923هـ/1517م، أي امتد قرابة 275سنة، وكانت دولة المماليك سيدة الموقف في ذلك العصر، حيث امتد نفوذها على كل من: مصر وبلاد الشام، وبلاد الحجاز، وقد حكم في هذه المرحلة العديد من السلاطين، إلا أن أبرزهم كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون(693-741هـ/1294-1341م)[8].

[4] - العمري، أحمد بن يحي ت. 749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- القسم الخاص باليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، 1974م.

[5] - العمري، أحمد بن يحي ت. 749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- ممالك مصر والشام والحجاز واليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1985.

[6] - زكار، سهيل: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م، ج23، ص10.

[7] - النهار، عمار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قطعة خاصة بالدولة العباسية، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق.

[8] - هو السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون، ولد سنة 684ه/1285م، وقد توزعت مدة حكمه على ثلاث فترات، انتهت بوفاته سنة 741ه/1341م، الصفدي، خليل بن أيبك ت. 764ه/1362م: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج4، ص251.

وقد عاصر العمري معظم المدة التي حكم فيها السلطان الناصر، ذلك أن حياته امتدت على طول النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، قضى معظمها متنقلاً بين الشام ومصر، وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل العصر المملوكي على الإطلاق، رغم القلاقل التي رافقت فترات حكم السلطان الناصر الذي تولى السلطة بعد مقتل أخيه السلطان الأشرف صلاح الدين خليل(689-693هـ/1290-1294م)، وكان عمره حينها ثماني سنين وأشهر[9]: الأولى(693-694هـ/1293-1394م) وانتهت بقيام أتابك العساكر الأمير زين الدين كتبغا(694-696هـ/1294-1297م) بخلعه، واستيلائه على عرش السلطنة، والثانية(698-708هـ/1299-1309م) حيث تجددت الخلافات بين الأمراء المماليك، وكثرت تعدياتهم، مما اضطر السلطان الناصر إلى اعتزال السلطة والاستقرار في الكرك[10]، أما في الفترة الثالثة(709-741هـ/1310-1341م)؛ فقد تمكن الناصر من فرض سلطته على كامل البلاد، وعم الأمن والازدهار في كل أرجاء الدولة، وعلى العموم فإن المدة التي قضاها السلطان الناصر في الحكم بفتراته الثلاث، تعد من أزهى فترات التاريخ المملوكي توسعاً، وازدهاراً في شتى مجالات الحياة، فكان لدولته الزيادة، ولسلطانه السيادة، وقد صرح النويري بذلك في كتابه" نهاية الأرب"، عندما ذكر أولاد المنصور قلاوون(678-689هـ/1279-1290م) ، فقال عن ابنه السلطان محمد:" وهو سلطان هذا العصر"[11].

9 – ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت.774هـ/1372م: البداية والنهاية، تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، 1997م ، ج13، ص310.

10 – الكرك: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الربض، الحموي، ياقوت بن عبد الله ت. 626هـ/1228م: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج4، ص453.

11 – النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ/1334م: نهاية الأرب في نهاية الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج3، ص112.

وكذلك فقد عبر المقريزي عن عظمة السلطان الناصر، وعلى قدره وقدر دولته في ذلك العصر، فقال:" وكانت همته علية وسياسته جيدة، وحرمته عظيمة إلى الغاية، ومعرفته بمهادنة الملوك لا مرمى وراءها، يبذل في ذلك من الأموال ما لا يوصف كثرة، فكان كتابه ينفذ أمره في سائر حركاته، ما عانده أحد، أو أضمر له سوءاً إلا وندم على ذلك، أو هلك"[12].

وبالتالي فإن المرحلة التي حكم فيها السلطان الناصر في ذلك العصر شكلت المرحلة الذهبية من حياة العمري، فالدولة التي ينتمي إليها، تتربع على مراتب الصدارة حينها، مما وفر له فرصاً ممتازة للارتقاء، وتوظيف المواهب، وتطوير الخبرات، والتدرج الوظيفي إلى أعلى المراتب، وقد استفاد العمري من هذه الفرص خير استفادة.

وعندما بدأت كفة هذه الدولة تميل إلى عدم الاستقرار بعد وفاة السلطان الناصر، انعكس ذلك على الحال على العمري، وبدأ ذلك العصر الذي كان له دور كبير في ارتقائه وبزوغ نجمه في اتخاذ دور مغاير، مما أدى إلى تدهور أحواله، ومن ثم أفول نجمه؛ حيث إنه في الفترة التي امتدت من وفاة السلطان محمد إلى حين وفاة العمري تعاقب على السلطنة سبع سلاطين من أبناء الناصر[13]، وخلال هذه الفترة تم الاستغناء عن خدمات العمري،

12 – المقريزي، أحمد بن علي ت.845هـ/ 1441م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار– الخطط المقريزية –، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج4، ص106.

13 – السلاطين السبع هم: المنصور أبو بكر ابن الناصر تولى السلطنة في محرم سنة 742هـ/1341م، وتوفي في شهر صفر نفس السنة، وقد تولى بعده أخوه الأشرف في صفر سنة 742هـ/1341م، وخلع في نفس السنة، وتولى بعده أخوه الناصر أحمد في صفر سنة 742هـ/1341م، وخلع في المحرم سنة 743هـ/1342م، فتولى بعده أخوه الصالح إسماعيل إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة 746هـ/1345م، فتولى بعده أخوه الكامل شعبان إلى أن خلع في جمادى الآخرة سنة 747هـ/1346م، فتولى بعده أخوه المظفر حاجي إلى أن قتل في رمضان سنة 748هـ/1347م، فتولى أخيه الناصر حسن، واستمر حتى خلع نفسه في جمادى الآخرة سنة 752هـ/1351م، ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت. 874هـ/ 1470م:

وذلك في عهد السلطان الصالح إسماعيل(743-746هـ/1342-1345م) ابن السلطان الناصر، حيث طلب من دمشق إلى مصر في سنة 743هـ/1342م لمحاسبته بسبب كثرة الشكوى منه، ولولا تدخل أخيه علاء الدين[14] لدى السلطان لكان للقضية اتجاه آخر[15]، وبالتالي فقد لعب العصر الذي عاش فيه العمري دوراً مفصلياً في حياته سلباً أو ايجاباً.

والملاحظ مما تقدم، أن انتقال السلطة كان بالوراثة، لكن هذا المبدأ لم يكن سائداً كما هو في العصر الأموي والعباسي مثلاً، بل طالته الكثير من الخروقات، وذلك نظراً للتنشئة العسكرية لرجال المماليك، واعتزازهم بأنفسهم، مما حال دون انصياعهم بسهولة لرغبات السلاطين.

ثانياً: حياته

1- اسمه ونسبه وكنيته:

أحمد بن يحي بن فضل الله بن المجلي بن دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله_ وقيل أسلمة بن عبيد الله_ بن أبي عبد

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م، ج10، ص116، ص148، ص178، ص254.

[14] - علي بن يحي بن فضل الله العمري، كاتب السر للسلطان محمد بن قلاوون ولأبنائه من بعده، عرف بإخلاصه ورزانته وأدبه، توفي سنة 769هـ/1368م، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج22، ص322.

[15] - العسقلاني، أحمد بن علي ت. 852ه/ 1448م: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سالم الكرنكوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م، ج1، ص333.

الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي[16]، وقد سمي بالعمري لأنه يعود بنسبه إلى عمر بن الخطاب، أما عن لقبه فإنه كان يكنى بأبي العباس، ويلقب بشهاب الدين[17].

2-مولده ونشأته:

ولد في دمشق في شوال سنة 700هـ/1301م، ونشأ في كنف أسرة لها مكانتها الثقافية والسياسية، مما أتاح له التزود بالعلم، والارتقاء بدرجاته، واستلام المناصب، والارتقاء في سلمها، فقد لازم والده يساعده في مهامه، لا يفارقه؛ فعندما عين والده على كتابة السر في دمشق، كان العمري إلى جانبه كاتباً للإنشاء، ولما استدعى السلطان الناصر محمد بن قلاوون والده لكتابة السر في مصر، سار إليها برفقة والده سنة 729هـ/1329م، فتولى الأب كتابة السر، وتولى هو قراءة البريد على السلطان محمد بن قلاوون، إضافة إلى بعض المهمات التي كان يكلف بتنفيذها[18].

ولما قام الناصر بتعيين أحد الأقباط على كتابة السر، أمر العمري بأن يكتب له بزيادة في أجره، فأبى، وقال: أما يكفي أن يكون كاتباً للسر حتى يزاد في معلومه، وقام غاضباً وقال للسلطان: خدمتك علي حرام، فغضب السلطان الناصر، وعزله في سنة 738هـ/1337م، وعين مكانه أخاه علاء الدين، على الرغم من وساطة والده[19].

[16] – العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الله الشريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2003م، مج1، ص157.

[17] – ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت. 1089هـ/ 1668م : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود أرناؤوط، ط2، دار ابن كثير، دمشق، 1992م، ج8، ص273.

[18] – العسقلاني : الدرر الكامنة، ج1، ص332.

[19] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص235.

وبعد وفاة والده في مصر رغب بالعودة إلى دمشق، واستأذن السلطان في ذلك، فقام السلطان باعتقاله، وذلك في سنة 739هـ/1338م، وكان السلطان الناصر لم يعاقبه في حياة أبيه إكراماً له، ولما مات أمر بسجنه[20].

بعدها عفا عنه السلطان، وعينه على كتابة السر في دمشق سنة 741هـ/1340م، ثم عزل سنة 43هـ/1342م، وطلب إلى مصر، فشفع له أخاه علاء الدين، فعفى عنه السلطان، وعاد إلى دمشق، وبقي بلا منصب حتى وفاته في ذي الحجة سنة 749هـ/ 1349م[21].

3-شيوخه:

برع العمري في علوم متعددة أخذها عن علماء عصره، حيث أورد ابن العماد، فقال: "وتخرج في الأدب بوالده والشهاب محمود[22]، والنحو عن أبي حيان[23]، وعلوم العربية من

[20] – العسقلاني: الدرر الكامنة، ج1، ص332.

[21] – ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص215.

[22] – أبو الثناء محمود بن سلمان، ولد في سنة 644هـ/1246م، تولى كتابة الإنشاء في دمشق، ومصر، برع في الكتابة والشعر، توفي في دمشق سنة 725هـ/1325م، ابن العماد: شذرات الذهب، ج8، ص124.

[23] – محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي، من علماء اللغة والنحو، وصاحب تفسير البحر المحيط، ولد بغرناطة سنة 654هـ/1256م، وتوفي في دمشق سنة 745هـ/1344م، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: المعجم المختص بالمحدثين، تح: محمد حبيب الهيلة،ط1، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م، ص267.

ابـن قاضـي شـهبة[24]، وعلـم العـروض والأدب علـى يـدي الصـائغ الدمشـقي[25]، وأخـذ الأصول عن الأصفهاني[26]، والفقه عن البرهان الفزاري[27]، وابن الزملكاني[28]، وغيرهما[29].

4- رحلاته:

لم تتجاوز رحلات العمري حدود بلاد الشام ومصر مروراً بالحجاز، حتى الرحلة التي قام بهـا إلـى معـرة النعمـان للقـاء ابـن الـوردي[30]، وتلـك التـي قـام بهـا إلـى الحـج سـنة 738هـ/1337م، وإلى القدس الشريف[31]، كانت ضمن هذا الإطار الجغرافي ولم تتجاوزه،

24 – كمال الدين عبد الوهاب بن محمد، ولد بخوازان سنة 653هـ/1255م، وتوفي سنة 726هـ/1326م، السبكي، عبد الوهاب بن علي ت.771هـ/ 1369م: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناجي،ط2، دار هجر، القاهرة، 1992م ، ج10، ص124.

25 – شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع ، ولد سنة 645هـ/1247م، وتوفي سنة 722هـ/1322م، وكان حانوته بقيسارية الصاغة بدمشق سوق ذهب وأدب، الكتبي، محمد بن شاكر ت. : الوافي بالوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م، ج3، ص326.

26 – محمود بن عبد الرحمن أبي القاسم بن أحمد الأصفهاني، ولد في أصفهان سنة 674هـ/1275م، ثم جاء إلى دمشق سنة 725هـ/1325م، وانتقل إلى مصر سنة 732هـ/1332م، برع في العلوم العقلية وفي العلوم النقلية، توفي سنة 749هـ/1349م في مصر، السبكي: طبقات الشافعية، ج10، ص383.

27 – إبراهيم بن عبد الرحمن، ولد سنة 660هـ/1261م، وتوفي في دمشق سنة 729هـ/1261م، الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: العبر في أخبار من عبر، تح: محمد رشاد عبد المطلب، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1986م، ج1، ص34.

28 – قاضي القضاة محمد بن علي بن عبد الواحد ابن خطيب زملكا، المعروف بابن الزملكاني، ولد في دمشق سنة 667هـ/1269م، تولى التدريس والإفتاء فيها، وتقلد عدة مناصب من أهمها قضاء حلب، ومن ثم قضاء مصر، توفي سنة 727هـ/1327م، الذهبي: المعجم المختص بالمحدثين، ص246.

29 – شذرات الذهب،ج8، ص274.

30 – ابن الوردي، عمر بن مظفر ت.749هـ/1348م : تتمة المختصر في تاريخ البشر(تاريخ ابن الوردي)، تح: أحمد البداوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1970م، ج2، ص503.

31 – العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج1، ص223. ومن هذه النسخة سيتم توثيق المعلومات.

ولعل في طبيعة العمل الذي مارسه العمري، الدور الأهم في الحد من تنقلاته؛ فهو كاتب السر الملازم للسلطان الذي لا يسمح له بمغادرة مكانه إلا بإذن منه، حتى عندما أقصاه السلطان الناصر عن عمله سنة 738هـ/1337م، فإنه فرض عليه نوعاً من الإقامة الجبرية في مصر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن انتماء العمري إلى أسرة مثقفة لها مكانتها العلمية والسياسية، كان له دور في الحد من قلة هذه الرحلات، فوالده هو المعلم الأول له، كما أن لنشأته في دمشق، التي تزخر بالعلماء الأجلاء في وقته، كبير الأثر في إعداد العمري من الناحية العلمية دون اضطراره إلى التنقل لأخذ العلم من مكان أخر.

5- مؤلفاته:

على الرغم من قصر المدة التي عاشها العمري، والتي لم تتجاوز الخمسين عاماً، إلا أنه ترك مؤلفات كثيرة، وفي أصناف متعددة من فروع العلم، ومن مؤلفاته:

- "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار": وهو الموسوعة التاريخية الجغرافية النباتية[32].
- "التعريف بالمصطلح الشريف"[33]: وقد أطلق عليه القلقشندي " الدستور"[34].
- "فواضل السمر في فضائل آل عمر": وهو في أربع مجلدات[35].
- "صبابة المشتاق في المدائح النبوية"[36].

[32] – ذكره إسماعيل باشا بإسم " مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار"، البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثارهم من كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م، ج5، ص110.

[33] – ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد ت.851هـ/1447م: طبقات الشافعية، تح: عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987م، ج3، ص17.

[34] – القلقشندي، أحمد بن علي ت.821هـ/1418م: صبح الأعشى، تح: محمود شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،ج1،ص110.

[35] – الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

[36] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج10، ص235.

- " الدعوة المستجابة"[37].
- "ممالك عباد الصليب"[38].
- "دمعة الباكي ويقظة الشاكي"[39].
- "نفحة الروض"[40].
- "سفرة السفرة"[41].
- "الشتويات"، ويشتمل رسائل أرسلها العمري في شتاء سنة 745هـ/1344م من دمشق إلى عدة رجال متعلمين، ومخطوط هذا الكتاب في ليدن[42].
- " ذهبية العصر"[43].
- " مختصر قلائد العقيان"[44].
- " الدائرة بين مكة والبلاد"[45].
- " تذكرة الخاطر"[46].
- "حسن الوفا لمشاهير الخلفا"[47].

[37] – الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

[38] – الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، مج1،ص268.

[39] – الصفدي: الوافي بالوفيات، ج8، ص255.

[40] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[41] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[42] –النهار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار– قطعة خاصة بالدولة العباسية–، ص75.

[43] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[44] – الزركلي: الأعلام، مج1، ص268.

[45] – الزركلي: الأعلام، مج1، ص268.

[46] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

[47] – البغدادي: هدية العارفين، ج5، ص110.

6- وفاته:

توفي العمري في ذي الحجة سنة 749هـ/1349م في دمشق بمرض الطاعون الذي عصف بدمشق في حينها[48].

ثالثاً: منهج الكتابة التاريخية عند العمري في الموسوعة العمرية

1- التحضير لكتابة الموسوعة:

وضع العمري في مقدمته أسباب قيامه بكتابة هذه الموسوعة، والتي تتلخص: بأن الذين ألفوا الكتب القديمة لم يبينوا أحوالها أو أحوال الأقاليم التي كتبوا عنها كما يجب، كما أنهم لم يتمكنوا من رسم حقيقتها في الأفهام، وأن كل ما كتب لا يعدوا أن يكون سرداً للأخبار القديمة، التي تتناول أخبار السابقين من الملوك والأمم المنقرضة، أضف إلى ذلك أن هناك العديد من الألفاظ والمصطلحات التي حوتها هذه الكتب أصبحت في حكم المنسي أو المبهم، وأن الكتابة تقتضي التجديد، فزمن الآباء القديم يختلف مع واقع الأبناء"[49].

2- الاعتناء بالجانب التوثيقي:

يعد التوثيق من أهم النقاط التي اهتم بها العمري في مقدمته، حيث بدأ الموسوعة بأسلوب منهجي، فعرف بنفسه، وبنسبه، وأما بالنسبة للعنوان: فقد وثق لذلك عندما سماه في مقدمته بشكل صريح، حيث قال:" وسميته: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، فحفظ بهذا الشكل مادة الكتاب العلمية المنسوبة إليه بالاسم [50].

ولقد حدد العمري في مقدمة كتابه، مصادر هذا الكتاب بشكل عام، وهي كما حددها على: المشاهدة، والسماع، والمصادر المكتوبة، ولما دون مادته العلمية، كان حريصاً على نسبة مفردات هذه المادة إلى أحد المصادر الثلاث، محدداً هوية المنقول عنه بكل أمانة.

[48] – ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص215.

[49] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص108.

[50] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص112.

ومن الأمثلة على ذلك بالنسبة للتوثيق عن طريق المشاهدة، لأحد فروع نهر النيل المسمى ببحر يوسف، قوله:" **ومن العجب، وهو ما رأيته بعيني: أنه ينقطه ماؤه من فوهته أوان انقطاع المياه من خلجان الديار المصرية، ويندي دون فوهته، ثم يكون له بلل دون المكان المندي، ثم يجري جرياً ضعيفاً دون مكان البلل، ثم يستقل نهراً جارياً، لا ينقطع إلا بالسفن، ويتشعب منه أنهار، وتنقسم قسماً تعم الفيوم، لسقي قراه ومزارعه وبساتينه وعامة أماكنه**"[51].

أما بالنسبة لتوثيق المادة السماعية، فقد قال:" **ولم أنقل إلا عن أعيان الثقات، من ذوي التدقيق في النظر، والتحقيق للرواية، ما أمكنني من السؤال عن كل مملكة، لأمن من تغفل الغفلاء، وتخيل الجهالات الضالة، وتحريف الأفهام الفاسدة**"[52].

أما عن المصادر المكتوبة فقد أكد العمري على الموثوق منها، فقال:" **فإن نقلت عن بعض الكتب المصنفة في هذا الشأن فهو الموثوق به، فيما لابد منه**"[53].

3-تحديد الأطر الزمنية والجغرافية للموسوعة:

لم يتجاهل العمري تحديد الزمن الذي بدأ في تأليف موسوعته، وإنا حدده، ولكن على وجه التقريب، وليس على وجه الدقة، بأنه كان في عهد السلطان المملوكي محمد بن قلاوون(693-741هـ/1293-1341م)، حيث قال:" **وشرعت فيه في أيام من مانا بإحسانه، وأمننا في سلطانه، سيدنا أبي بكر المعالي محمد بن مولانا السلطان الكبير أبي المظفر قلاوون**"[54]، مما شكل مأخذاً على منهجيته في هذا الخصوص، وإن كان قد أشار أثناء حديثه عن بلاد سيس[55]، وقيام السلطان

[51] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص159.

[52] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص109.

[53] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص109.

[54] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص111.

[55] - سيس: بلد من أعظم الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص295.

الناصر بغزوها، أن سنة تأليفه لهذا الكتاب في نفس هذه السنة، وهي سنة 738هـ/1338م[56].

أما بالنسبة لتحديد المدى الجغرافي والزمني والتاريخي لمحتوى الموسوعة، فقد حدد العمري بجعل الأرض وأحوالها على وجه العموم، وأحوال ممالكها حتى العصر الذي عاش فيه مادة لموسوعته، عندما قال:" **فاستخرت الله تعالى في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض وما فيها ومن فيها**"، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى بتأكيده على العالم الإسلامي، وممالكه الكبرى، وما وصل إليه ملك الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم، على وجه الخصوص، مع بعض الاستثناءات التي حددها في مقدمته مع التعليل[57].

3- التأكيد على الشمولية والاختصار:

إن المعنى الاصطلاحي للشمولية والاختصار لا يخرج عن كونه تعبيراً دالاً على الاحتواء والعموم، ولكن بإيجاز، على نحو غير مخل بالجوهر.

أشار العمري إلى هذا المبدأ كمنهجية في مقدمة الكتاب، والتي أعرب فيها عن عزمة إثبات نبذة عن الأرض، وما فيها ومن فيها: الأظهر فالأظهر، والأشهر فالأشهر، ومالم يجد بداً من ذكره[58]، يكون قد أكد على هذه المنهجية المبنية على الشمولية، وكذلك الاختصار في نفس الوقت.

وقد ظهرت براعته المتميزة في قدرته على الوفاء بالتزامات منهج الشمولية والاختصار إلى حد كبير، وذلك من خلال:

---

[56] - العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص316..

[57] -العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص109.

[58] – أورد العمري في مقدمته:" فاستخرت الله تعالى في إثبات نبذة دالة على المقصود في ذكر الأرض، ومن فيها: الأظهر فالأظهر، والأشهر فالأشهر، ومالم أجد بداً من ذكره في ذلك ومثله، وحالة كل مملكة، وماهي عليه، هي وأهلها في وقتنا هذا"، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص108.

أ- منهجه في تحديد نقطتي البداية والنهاية في تدوين وترتيب المادة العلمية:

تعرض العمري إلى ذلك في مقدمته، محدداً البعد الفلكي أساساً في ترتيب العرض المتعلق بالمادة العلمية، وذلك بالبدء من المشرق ومن ثم الانتهاء بالمغرب، مستدلاً على ذلك بحركة الشمس التي تخرج من جهة الشرق، هذا كقاعدة عامة، ومن المغرب إلى المشرق كقاعدة استثنائية، معتمداً على خطوط الطول والحركة الظاهرية للقمر وبقية الكواكب[59].

وأما بالنسبة للقاعدة العامة؛ فقد ربط العمري عمومية هذه القاعدة بنظريته التي تقول بعلو مكانة الشرق المسلم، وتفوقه على الغرب المسلم.

ومن الأمثلة على ذلك: المادة العلمية التي قدمها على ممالك الإسلام، حيث استهلها بالحديث عن ممالك الهند والسند في أقصى الشرق الإسلامي، فقال:" **فممالك الإسلام واقعة على مانذكره، فأولها الهند والسند، وهو واقع في ممالك الإسلام بشرق محض آخذاً في الجنوب على مسامت الصين**"[60]، وختم الحديث عنها بالمعلومات التي قدمها عن مملكة الأندلس في أقصى الغرب الإسلامي[61].

وكذلك عندما ذكر القراء، حيث قال:" **وها نحن نذكر مشاهير قراء المشرق، حتى نتبع الأموات بالأحياء، ثم نتبعه بمثله في مشاهير قراء المغرب...**"[62].

وقال مقدماً لمشاهير فقهاء المحدثين:" **وأبدأ فيهم بالجانب الشرقي، ومنهم...**"[63].

---

[59] – أورد العمري:" وأول ما أبدأ بالمشرق، لأن منه ينفتح نوار الأنوار، وتجري أنهار النهار، إلى أن أختمه بنهاية المغرب إلى البحر المحيط، لأنه الغاية، وإليه النهاية، إلا فيما لم أجد بداً من الابتداء به من المغرب إلى المشرق، كتخريج الأقاليم، لابتداء الأطوال من الجزائر الخالدات بالبحر الغربي"، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص110، والبحر المحيط في الشرق هو المحيط الهادئ، والبحر المحيط في الغرب هو المحيط الأطلسي، إبراهيم، عبد الله: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م، ج1، ص177.

[60] – العمري: مسالك الأبصار، ج3، ص21.

[61] – العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص116.

[62] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص71.

[63] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص273.

كما أورد مستهلاً حديثه عن الشعراء:" **وأما الشعراء فقد تقدم في هذا ما فيه لناظر مستمتع، ولسامع بلاغ مما جملته وتفصيله للمشرق، إذ نبع منه معينه، وبدا به فجره، ومنه شقشقت في الجاهلية فحوله، قول حق لايدفع، وصدق لاينازع، شاء الغرب أو أبى...**"[64].

هذا بالنسبة للقاعدة العامة، وأما بالنسبة للقاعدة الاستثنائية، التي تقول بالبدء من الغرب إلى الشرق استناداً إلى خطوط الطول، فقد جعل العمري ذلك مرتبطاً بتدوين المادة المتعلقة بالأقاليم السبعة، انطلاقاً من الجزر الخالدات[65] في البحر المحيط في الغرب، كنقطة بداية لهذه الخطوط، وصولاً إلى البحر المحيط في الشرق.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في بداية حديثه عن الإقليم الأول: " **وأول ما نبدأ به من الغرب على حكم خط الأقاليم بلاد مقرازة الذهب ومن مدنها مدينة أوليل[66]، وبها الملاحة التي تمد جميع بلاد السودان**"[67]. وكذلك بقية الأقاليم.

ب- منهجه في تصنيف المادة العلمية:

ظهرت براعة العمري في مجال التصنيف في وضع فهارس الموسوعة بشكل عام، بحيث غطت تفرعات الفهرسة جميع محتويات المادة المقسمة إلى سبعة وعشرين جزءاً، والتي لم تدع صغيرة ولا كبيرة إلا وأفردت لها موضعاً يفي بعرضها.

---

[64] – العمري: مسالك الأبصار، ج14، ص13.

[65] – الجزائر الخالدات: هي جزائر السعادة، وقد كانت عامرة في أقصى المغرب في البحر المحيط، وعددها ست جزر، وعليها بنى علماء الفلك القدماء قواعد هذا العلم، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص132.

[66] – أوليل: معدن الملح ببلاد المغرب على البحر، أخر العمارة، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص283.

[67] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص429؛ وبلاد السودان: هي بلاد كثيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط، القزويني، زكريا بن محمد ت.682ه/1283م: آثار البلاد وأخبار العباد، ط3، دار صادر، بيروت، 2011م، ص24.

وقد صنف مادته في قسمين، جعل القسم متعلقاً بالأرض وهو نوعين: النوع الأول: خاص بالمسالك، والنوع الثاني: خاص بالممالك.

أما بالنسبة للتصنيفات المتفرعة، فقسم مادته إلى: معالم طبيعية للأرض تتمثل في الجبال والأنهار، والبحيرات، ورمل الهبير[68]، مقتصراً على اليابسة، ومستبعداً البحار من التصنيف، معللاً ذلك بقوله:" **وأما البحار، فإنها عالم آخر، أكبر من عالم الأرض، بما لا نسبة بينهما، فوجب إفرادها بذاتها، إذ كانت كشيء آخر**"[69].

وبالنسبة لتصنيف المعالم البشرية للأرض، فقد جعلها العمري تحت عنوان: الآثار البينة في أقطار الأرض، موضحاً أنواعها، ومعللاً سبب ذكره لها في مقدمته، بقوله:" **ثم نحن نعقب ذلك بذكر جمل من الأثار البينة في أقطار الأرض ماجرت مجرى الأعلام، وقامت في الاستدلال مقام ما قدمنا ذكره من الجبال والأنهار والرمل والبحيرات، وسنذكرها مبينة، وفي الله التوفيق، فنبدأ بذكر المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الحرام**"[70].

وصنف الآثار الأخرى في الأرض ضمن مجموعات، ضمت المزارات، والبيوت والهياكل المعظمة، وما بقي من الآثار المشهورة برسمه أو جسمه.

إضافة إلى ذكر الممالك الإسلامية المعاصرة للمؤلف، بدءاً من الهند والسند، وممالك جنكيز خان في الشرق، مروراً بمملكة الجبال، وممالك الأتراك، ومملكة مصر والحجاز والشام، ومملكة اليمن، وممالك المسلمين في الحبشة، وفي السودان على ضفة النيل، ومملكة مالي، وجبال البربر، ومملكة الأندلس في الغرب.

---

[68] – الهبير من الأرض أن يكون مطمئناً وما حوله أرفع منه، وقيل المطمئن في الرمل، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص392.

[69] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص142.

[70] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص175.

وأفرد قسم يتعلق بسكان الأرض بشكل عام، وما فيها من ديانات ومتدينين، ومشاهير بمختلف المجالات والفنون، منذ بدء الخليقة إلى زمان المؤلف.

ج-**التنسيق وتوظيف المعلومة في مكانها المناسب:**

وزع العمري محتوى التصنيفات المتعلقة بالمادة العلمية على سبعة وعشرين مجلداً، ختم معظمها بخاتمة، بين فيها نهاية الجزء، وقد شرع في تبني هذه القاعدة في خاتمة الجزء الخامس، حيث جاء فيها:" **أخر الجزء الخامس من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ويتلوه السفر السادس إن شاء الله تعالى، وإذ قد ختمنا فقهاء المحدثين بالجانبين، ولم ندع منهم زينة مشرق ولا مغرب، ولا مطلع هلال ولا كوكب...**"[71]، وكذلك في معظم الأجزاء الأخرى، باستثناء عدد منها[72].

واعتمد المفاضلة بين تفرعات المادة، وعرضها وفق هذا المنهج، بتقديم هذا، وتأخير ذاك، وبشكل متماسك ورصين ومنهجي، ومن الأمثلة على ذلك: فعندما اختار بأي رجال العلم يبدأ، اختار أن يبدأ بمشاهير القراء، معتمداً على مبدأ المفاضلة من جهة، ومن جهة أخرى ، وبالاعتماد على نفس المبدأ، اختار أن تكون البداية بالصحابي الجليل أبي بن كعب، سيد القراء، وإمامهم على الاطلاق، بما لا يتعارض مع منهجه في البدء، أي من المشرق، حسب تاريخ وفاة كل منهم، الأقدم فالأقدم، مقدماً ذكر الأموات على الأحياء، حيث قال:" **وبدأنا بالقراء لشرف القرآن العظيم، ولما تضمنه من الآيات والذكر الحكيم....، وها نحن نذكر مشاهير قراء الشرق، حتى نتبع الأموات فالأحياء، ثم نتبعه بمثله في مشاهير**

[71] – العمري: مسالك الأبصار، ج6، ص359.

[72] – من هذه الاستثناءات: الأجزاء الخمسة الأولى، والجزء الثامن،، علماً انه في الأول والثاني أشار إلى نهاية الجزء فقط، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص487؛ ج2، ص348، ج3، ص384، ج4، ص204، ج8، ص271.

قراء المغرب، وبدأنا بأبي بن كعب لان منه زخر عباب هذا البحر الخضم...[73]، ومن الأمثلة أيضاً، قيامه بتقديم الحديث عن جبل عرفات على غيره من جبال مكة، ذاكراً الأسباب التي دعته إلى ذلك بقوله:" **فأما جبال مكة، فأعظمها وأحقها بالتقديم، وإن بعد عن مكة مكاناً، جبل عرفات**[74]**، موقف الحجيج الأعظم، وركن الحج الأكبر**"[75].

ومن الأمثلة على التأخير، ولكن لاعتبارات المصلحة، قيامة بتأخير الحديث عن جبال مكة والمدينة، وإفراد مكان خاص لها إلى ما بعد انتهائه من الحديث عن أرباع الجبال، موضحاً الأسباب التي دعته إلى ذلك بقوله:" **وأما جبال مكة والمدينة، فإنا نذكرها بعد الأرباع، مفردة بذاتها، لتتوفر عليها المادة بإفرادها**"[76].

والعمري بتفعيله لهذه المهارة: مهارة التنسيق، وتوظيف المعلومة مع التعليل، حمى نفسه من التشتت، ومعلوماته من التكرار، ومن الملاحظ أن الذي سهل عليه تفعيل هذه المهارة، استخدامه لبعض التعابير، كقوله:" **وسيأتي ذكر...**"، أو " **على ما يأتي ذكره...**"، مما أعانه على التنقل بين الأفكار والفقرات بسهولة ويسر، والأمثلة كثيرة[77].

---

[73] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص71.

[74] – عرفة وعرفات واحد عند أكثر أهل العلم، وعرفة حدها من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبال عرفة، وقرية عرفة: موصل النخل بعد ذلك بميلين، الحموي: معجم البلدان، ج4، ص104.

[75] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص150.

[76] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص145.

[77] – من الأمثلة، قوله عندما أشار إلى القسطنطينية في إطار حديثه عن الخليج القسطنطيني:" وهي مدينة عظيمة مشهورة، تقدم القول عنها، وسيأتي لها ذكر في أخبار بلاد الروم، العمري: مسالك الأبصار، ج2،ص186؛ ج3، ص258.

د- **النقل باختصار، وتصرف، وانتقائية والاكتفاء بالمفيد:**

لم يكن العمري يملك لتحقيق مبدأ الشمولية، إلا بالاختصار، وبأساليب مختلفة، وذلك حسب طبيعة المادة، فأثناء حديثه عن الأقاليم لم يكن أمامه في بعض الأحيان للاستفادة من مصدره، وهو كتاب" نزهة المشتاق" إلا الاختصار والنقل بتصرف[78].

وفي أحيان أخرى كان يتم نقل المعلومة بانتقائية باختيار مدن تحدث عنها، ومدن أهملها، كما أنه أهمل المسافات بين المدن التي أوردها[79].

هـ- **توظيف المقدمات والخواتيم لتنظيم المادة العلمية:**

شكلت مقدمات العمري وخواتيمه عاملاً مهماً في تماسك المادة العلمية، وترابطها والتعبير عن شموليتها، بالقدر المعقول من المعلومات، دون إفراط أو تفريط، وقد ظهرت قدرة هذه المقدمات ابتداء من المقدمة العامة، والتي وثق العمري من خلالها لكتابه، بالتعريف بنفسه أولاً، وذكر اسم كتابه فيما بعد، والتعريف بأسباب التدوين، والمدى الزمني لكتابة هذه الموسوعة على وجه التقريب، وكذلك المدى الجغرافي، والمعلوماتي أيضاً، وتحديد المنهج المتبع في تناول وتدوين المادة العلمية، من حيث البداية، ومن ثم التدرج في التدوين، وصولاً إلى مواطن

[78] -أورد العمري بهذا الخصوص فيما يتعلق ببلاد قومس: وهي سمنان والدامغان وحرقان وبسطام، والذي ذكره الشريف في أجار نحن نذكره على سبيل الاختصار، وقد استوفى العمري هذه المادة بما يقارب العشرين سطراً، مهملاً المسافات، بينما احتاج الإدريسي إلى قرابة خمس صفحات، أي ما يقارب الثمانين سطراً لتغطيتها، العمري: مسالك الأبصار، ج2، ص39؛ الإدريسي، محمد بن محمد ت.560ه/1164م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ج2، ص685.

[79] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص ص429-437.

النهايات، ولم ينس العمري في هذه المقدمة الإشارة إلى مصادره، وختم هذه المقدمة بفهرسة اتصفت بالشمول والايجاز.

ولم تمكن الأقدار العمري من تقديم خاتمة عامة مشابهة لكتابه، إلا أن الخواتيم الفرعية للأنواع والأبواب والفصول والفقرات ساهمت بشكل كبير في تعويض هذه الناحية، وشكلت رافداً حقيقياً، ومن الأمثلة على ذلك، قوله في نهاية حديثه عن الجبال:" **فهذه هي جميع الجبال الشهيرة، والأعلام الظاهرة في جميع المعمورة وما قاربها، لم نخل منها، إلا بما لعل صاحب جغرافية لم يصوره في لوح رسم، وإن كان، فهو قليل وفيما ذكرناه كفاية**"[80]، فالتعبير الأخير في قوله:" **وفيما ذكرناه كفاية**": إشارة إلى تعمد الاختصار على نحو يفي بالغرض، وكذلك خواتيمه

بالنسبة للأنهار[81] والبحيرات[82]، وأما لخاتمته في نهاية حديثه عن رمل الهبير، فقد قال:" **ونحن نبين كل شيء بحسب ما يمكننا من الطاقة والاجتهاد، وفوق كل ذي علم عليم**"[83].

[80] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص175.

[81] – ختم العمري الحديث عن الأنهار قائلاً:" هذه هي جميع الأنهار المشهورة في جميع المعمورة وما قاربها، ولم تخل منها إلا بما لعل صاحب جغرافية لم يصوره في لوح رسم، وإن كان فهو قليل"، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص171.

[82] – ختم العمري الحديث عن البحيرات قائلاً:" وذلك منقول في لوح الرسم، أو محقق بالسؤال، وإن حصل بعضه إخلال، وفيما أتينا به غنى عما سواه، وبعض الشيء في هذا الباب استدراك، إذ المراد بذلك ما يستدل على الأرض بأعلامها الظاهرة، وفي الدليل الواحد كفاية"، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص174.

[83] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص175.

و-توظيف الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأبيات الشعرية، والعجائب والطرائف، والعبر:

حرص العمري على استخدام القدر المطلوب من الشواهد القرآنية، والشواهد الأخرى، وفي المكان المناسب، مراعياً الاختصار، حسب المكان، وبطرق مختلفة:

1- الآيات القرآنية:

إن طبيعة المادة التي تناولها العمري تستدعي الاعتماد على الشواهد القرآنية، ولقد حرص على القيام بذلك، فاستشهد بآيات القرآن الكريم في أكثر من موضع، دون الإشارة إلى رقمها، أو إلى اسم سورتها، واختلف القدر القرآني الذي استشهد به، حسب المناسبة، ومقتضيات التوظيف، والغرض، ومنها: في التفكير في خلق الله سبحانه وتعالى:(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت)[84]، وفي مناقشة قضية بناء البيت الحرام(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين)[85]، والشواهد أكثر من أن تحصى.

2- الأحاديث الشريفة:

حرص العمري على توظيف الأحاديث الشريفة في الكثير من الأماكن، حسب مقتضى الحاجة، وبأشكال متعددة، بإسقاط السند، وبما في ذلك اسم الصحابي راوي الحديث، ومقتصراً على موضع الشاهد فقط، ومنها على سبيل المثال:" قال النبي ص:" أحد جبل يحبنا ونحبه"[86]، وهو جزء من حديث ذكره البخاري[87]، وفي

[84] – القرآن الكريم: سورة الغاشية، الآية17–20؛ أوردها العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص107.

[85] – القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية96؛ أوردها العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص176.

[86] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص154.

مكان آخر:" عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس[88]، رواه الإمام أحمد[89].

وهناك أحاديث كثيرة أخرى، مع التأكيد على أن معظم ألفاظ الحديث التي أوردها كانت بفوارق مع مصادر الحديث الصحيحة، ومع العلم أنه أورد في الجزء الخامس، مادة خاصة بمشاهير الحفاظ من أهل الحديث، وأيضاً مشاهير فقهاء المحدثين[90].

3- الأبيات الشعرية والأدب:

لم يدخر العمري في مجلداته السبعة والعشرين مناسبة يسوق فيها بيتاً من الشعر إلا وفعل، وقد ظهر ذلك واضحاً ابتداء من الجزء الأول[91]، وأورد لنفسه أثناء مروره بالدير الأبيض غربي النيل برفقة موكب السلطان الناصر مائة وثلاث

[87] – البخاري: محمد بن إسماعيل ت.256هـ/869م: الجامع المسن الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه أو صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1983م، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو، رقم 2889.

[88] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص175.

[89] – ابن حنبل، أحمد بن محمد ت. 241هـ/856م: مسند أحمد بن حنبل أو المسند، دار صادر، بيروت، 1900م، ج3، ص93.

[90] – العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص ص162-369.

[91] – من خلال البيتين اللذين أوردهما في مدح النبي، والأبيات التي أنشدها بمناسبة زياته مدينة الخليل في ذي الحجة سنة 745هـ/1345م، وكذلك التي أودها في قصر سنداد، والخونق، وقصر غمدان والشدياخ، وبيتي المتنبي في وصف الحال التي آلت إليه الأهرامات، العمري: المسالك، ج1، ص234، 235، 284،280، 285، 287.

وأربعين بيتاً[92]، ولابد الإشارة إلى أن العمري كان مغرماً بالشعر، وهو نفسه كان شاعراً، وقد وظف شعره في المديح[93]، والرثاء[94]،

والوصف[95]، وتبادل مشاعر الود والوفاء مع شيوخه وأقرانه ومحبيه توظيفاً مميزاً، مما زاد في جمالية هذه الموسوعة.

كما أنه زينها بالعديد من القطع النثرية التي تشهد على براعته في هذا الجانب، أضف إلى هذا وذلك ان العمري كذلك كان ناقداً من الدرجة الأولى، وتعليقاته على عدد من الأشعار تشهد بذلك[96].

---

[92] – العمري: المسالك، ج1، ص397.

[93] – من ذلك قصيدته المؤلفة من 28 بيتاً في مدح النبي ومنها:

كفا ملامي وإلا فأكثروا عدلي فلست عن حب من أهوى بمنتقل
وما أبالي بأيامي بليت بها إذا خصصت بمدح خاتم الرسل

العمري: مسالك الأبصار، ج23، ص360.

[94] – من ذلك قصيدته المؤلفة من 36 بيتاً، في رثاء الحافظ القاسم بن محمد البرازلي ومنها:

تراهم بالذي ألقاه قد علموا شط المزار وبان البان والعلم
لهفي عليهم وقد شدوا ركابهم عن الديار ولا يثني بهم ندم
قد كان يدنيهم طيف يلم بنا فالآن لا الطيف يدنيهم ولا الحلم

العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص246.

[95] – من ذلك قصيدته المؤلفة من ثمانية أبيات، في وصف يوم قضاه في الدير الأبيض ومنها:

ولم أنس بالدير يوماً لنا وعيش السرور به ينتهب
ففضض أبكاره باللجين وموه آصاله بالذهب

العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص403.

[96] – من ذلك تعليقه على أبيات أوردها الشاعر علي بن عمر بن قزل، وضمن قوافيها آيات قرآنية من سورة الإنسان ومنها:

وسقاني من ريقه البارد العذ ب كؤوساً حوت شراباً طهورا
بقوارير فضة من ثنايا قدورها بلؤلؤ تقديرا

4- العجائب والطرائف والعبر:

شكلت العجائب والأخبار الطريفة والعبر جزءاً مهماً من مادة العمري، والهدف إضفاء عنصر جمالي على مادة الموسوعة، كالطراز في الثوب، وكالخال في الخد، وليس لإكثار حجم الكتاب[97]، ومنها ما يمكن التسليم بحقيقته، ومنها ما هو أقرب إلى الخيال والأسطورة، ومنها على سبيل المثال: وجود حجر البهت الغالي الثمن والنادر، والموجود في ساحل المحيط، والذي يعتقد أهل المغرب أن من يمسكه تقضى حاجته[98]، ومن الأمور الأقرب للأساطير وجود شجرة عظيمة يقال أنها من حديد في نهر خمدان[99]، وخلق من الناس إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب في جزيرة قلهان[100]، وجزيرة الأخوين الساحرين اللذين مسخ بهما لظلمهما وبقيا حجرين[101]. والروايات بهذا الخصوص كثيرة جداً.

5- النقل من لوح الرسم(الخريطة) والخرائط الذهنية:

استعان العمري بالتصاوير والخريطة كوسيلة مساعدة من أجل فهم وتقريب المعلومة[102]، ومن هذه الخرائط: الخريطة المأمونية، وخريطة الإدريسي، وفي إطار عرض التفاصيل الخاصة بالبحار: بالخليج العربي، وبحر القلزم، والبحر الشامي،

حيث قال بعدها معلقاً:" وهذا النوع محظور وقد تجاوز فيه بعض العلماء، وتجنبه أولى بالأدب، العمري: مسالك الأبصار، ج18، ص73.

[97] -العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص109.

[98] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص439.

[99] - نهر خمدان: من الأنهار الكبار المشهورة في الصين، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص210؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص454.

[100] - جزيرة قلهان: جزيرة تقع بقرب البحر المظلم، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص213؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص459.

[101] - جزيرة تقع بقرب البحر المظلم، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص219؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص288.

[102] -العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص108.

والخليج البندقي، والخليج القسطنطيني، والبحر الطبرستاني، أرفق العمري صور توضيحية لكل منها[103].

وأرفق العمري صوراً توضيحية تتعلق بالأعشاب والنباتات الطبيعية بلغ عددها خمس وثمانون ومئتين صنفاً، و سبع وثمانين من الأشجار، وجميع هذه الأصناف مرتبة ترتيباً أبجدياً[104].

وقد أكد العمري أن هذه الرسوم من مساعدة حسين بن علي المطري العزاوي[105] الذي صحبه بمصر وقدم عليه بدمشق[106].

6- العناية بالمفاهيم والمصطلحات وتوضيحها:

حد العمري الأسباب التي دعته إلى الاهتمام بالمصطلحات وذلك باقتصار الكتب القديمة على أخبار قليلة الفائدة، واحتوائها على مصطلحات ذهبت بذهاب أهلها[107]، وتعهد في مقدمته على التعريف بالمصطلحات التي أوردها، وعلى توضيح حقيقة تسمياتها في زمانه قدر استطاعته[108]، ومن ذلك تعريفه بالفرجة الحاصلة بين البحر الممتد على بحر بنطس أي البحر الأسود والبحر الشامي أي

[103] -بحر القلزم يمثل اليوم البحر الأحمر، أما البحر الشامي فهو بحر الروم، ويعرف اليوم بالبحر المتوسط، والخليج البندقي والخليج القسطنطيني متفرعان عنه، والأول يعرف اليوم بالبحر الإدرياتيكي، والثاني يعرف ببحر مرمرة، أما البحر الطبرستاني، فهو يعرف اليوم ببحر قزوين، إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، ص183، ص216، ص231.

[104] – العمري: مسالك الأبصار، ج21، ص13.

[105] – صدر مؤخراً لشاكر اللعيبي كتاب سماه" حسين بن علي المطري العزاوي، رسام عربي مجهول، صادر عن دار الخطوط وظلال لنشر والتوزيع، عمان، 2021م.

[106] -العمري: مسالك الأبصار، ج10، ص570.

[107] – العمري: مسالك الأبصار،ج1،ص108.

[108] -"ولم آل جهداً في تصحيح ما كتبته بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل"، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص109.

البحر المتوسط، فقال:" **تلك الفرجة هي موقع مدائن الروم وهي المسماة الأن ببلاد الروم، مثل قونية وقيصرية وأنطاكية**"[109].

وفي إطار حديثه عن نهر العاصي، والتعريف به من المجرى حتى المصب، قال:" **ومن ذلك نهر يعرف بالعاصي، يصب من وراء نهر بعلبك، ومن منابع شتى في وطاءة أرض، قلت من قرية تعرف باللبوة**[110] **ومغارة الراهب**[111]**، ثم يأخذ شمالاً ماراً حتى يقارب غربي حمص، فيصب هناك في بحيرة متوسطة الاتساع، ثم يخرج منها ويمر غربي حمص إلى حماة إلى شيزر إلى أفامية، فيصب في بحيرة بها، ثم يخرج فيشق في جبال تعرف هناك الآن بجبال الغرب، إلى ديركوش**[112]**، إلى بلد يعرف بالإقليم، ثم ينزل العمقا إلى أنطاكية إلى السويدية، ويصب في البحر الشامي، حيث ينعطف هناك، وقد سمينا بعض هذه الأسماء بما يعرف بها الآن**"[113].

وهناك الكثير من المصطلحات التي أوضح دلالتها، وبسبب طبيعة العصر المملوكي التي ساد فيه استخدام العديد من المصطلحات غير العربية، والعمري مرّ على هذه المصطلحات في معظم الأحيان دون أي توضيحات، كمصطلح

---

[109] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص148.

[110] – اللبوة: مدينة تقع في قضاء بعلبك، وتبعد مسافة 114كم عن بيروت، عيسى، إيلين زغيب وأخرون: موسوعة لبنان، مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية، بيروت، 1998م، ص168.

[111] – مغارة الراهب: تتبع مدينة الهرمل التي تبعد 147كم عن بيروت، وتسمى أيضاً مغارة مار مارون، عيسى وآخرون: موسوعة لبنان، ص188.

[112] – دركوش: حصن قرب أنطاكية من أعمال العواصم، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص452.

[113] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص168.

الخزندار[114]، ومصطلح الدوادار[115]، والجمدار[116]، والسلحدار[117]، والسبب الذي دفع العمري إلى عدم إعطاء توضيحات كافية عن هذه المصطلحات هي أنها كانت مألوفة في ذلك العصر.

5- الاعتماد على مناهج علمية في الكتابة:

اعتمد العمري على مناهج علمية متنوعة ، وقد جاءت منسجمة مع الأساليب السائدة في عصره على وجه العموم، كما أنها جاءت منسجمة مع أساليب البحث العلمي المعروفة في هذه الأيام في الكثير من الجوانب، وأهم هذه المناهج:

أ- المنهج النقلي:

اعتمد العمري على المنهج النقلي بكل أشكاله، الحرفي، وبفوارق، وأحياناً بالتصرف، إلى غير ذلك، ومثال على ذلك النقول من كتاب" نهاية الأرب" للنويري[118]، ومن كتاب" فقه اللغة" للثعالبي[119]، ومن كتاب" المختصر في تاريخ

---

[114] – الخزندار: لقب يطلق على المسؤول عن خزانة السلطان، مركب من لفظين: الأول عربي وهو خزانة، وهي ما يخزن فيه المال، والثاني فارسي وهو دار، ومعناه ممسك، وبالتالي فمعنى خزندار: ممسك الخزانة، القلقشندي: صبح الأعشى، ج5، ص462.

[115] – الدوادار: مصطلح مملوكي للدلالة على أحد أركان الدولة برتبة مقدم أمير، حلاق، صباغ؛ حسان، عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م، ص93.

[116] – الجمدار: لفظ فارسي مركب من: جامة، وتعني اللباس، ودار: وتعني المسؤول، وقد دل هذا اللفظ في عصر المماليك على المسؤول عن لباس السلطان، حلاق؛ صباغ: المعجم الجامع، ص119.

[117] – السلحدار: حامل السلاح، وهو لفظ مركب من كلمة: سلاح العربية، ودار الفارسية، التي تعني الصاحب والممسك، وقد دل هذا المصطلح في العصر المملوكي على حامل سلاح السلطان، حلاق وصباغ: المعجم الجامع، ص118.

[118] – النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص134.

البشر" لأبي الفداء[120]، ومن كتاب" نزهة المشتاق" للأدريسي[121]، والعديد العديد من المصادر الكتابية الأخرى.

ب- المنهج السردي:

اضطر العمري في بعض الأماكن إلى الاختصار الشديد، مع الرغبة في الفراغ من المادة التي بين يديه بأقصى سرعة ممكنة، وهذا المقصود بالمنهج السردي هنا، وظهر ذلك جلياً أثناء حديثه عن المزارات، التي ذيل بها، على المعالم الكبرى التي ختمها بمسجد قرطبة في الأندلس، وذلك على سبيل التعريف بأشهرها فقط، نظراً لكثرتها، لذلك كان حريصاً على عدم الإطالة، فجاء ذكرها بعجالة، فأورد منها قرابة مائة وسبع وستين موضعاً، متبعاً المنهج السردي ممزوجاً بالمنهج النقلي في كثير من الأحيان[122].

وكذلك في مواضع عديدة عند سرد الترجمات، ونقل مقطوعات شعرية، وعند الحديث عن أقاليم الأندلس...

ج- **المنهج الوصفي:**

كان الاعتماد على المنهج الوصفي في مقدمة المناهج التي اعتمد عليها العمري، وذلك لارتباطه الوثيق بطبيعة مادة هذا الكتاب بشكل عام، والتي تقوم على وصف الأرض، والتعريف بدلالات الأسماء والمصطلحات المرتبطة بها، ووصف المعالم الطبيعية والجغرافية والدينية والتاريخية والأثرية، وكذلك الأقاليم الجغرافية وما تحويه

---

[119] – الثعالبي، عبد الملك بن محمد ت.350هـ/961م: فقه اللغة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1885م، ص291؛ العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص139.

[120] – أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت.732هـ/1331م: المختصر في أخبار البشر، تح: محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص155؛ العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص129.

[121] – الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص108؛ العمري: مسالك الأبصار،ج2، ص17.

[122] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص267-275.

من بلدان ومدن ومراكز عمرانية، أضف إلى ذلك الممالك والدول وما تحويه من مظاهر سياسية واقتصادية وادارية إلى غير ذلك، وكذلك الأنواع الحيوانية، والأنواع النباتية أيضاً ، وحتى المعادن وغيرها، ولا شك أنه مكان لينجح باستخدام هذا المنهج بهذا الشكل لولا امتلاكه لعدد من المهارات، والوسائل، والأساليب، والتي يمكن إجمالها بما يلي:

1- القدرة على التعامل مع لوح الرسم(الخريطة):

تمكن العمري من خلال امتلاكه مهارة التعامل مع لوح الرسم، واستيعابه لرموزه، والملاحظات المدونة عليه، من فهم الأرض، وتقسيماتها بشكل جيد، حتى أنه كان قادراً على وصف العديد من المواقع بدقة، دون معاينتها على أرض الواقع، وهو بهذه المهارة قسم الجبال إلى أربع أرباع[123]، ووصف جزيرة قبرص وصفاً دقيقاً[124].

2- المهارة الأدبية والثقافة الواسعة:

أدت براعة العمري الأدبية على إضفاء صفة جمالية على منهجه الوصفي سيما في المقدمات، ومن ذلك قوله في حديثه عن منى:" **حيث ترمى الجمرات، وتهمى العبرات، ذوات الليالي المقمرات...يحلى بها من كل ترب عاطله، ويلتقي في كل سرب كل ذي ذين وماطله، وهي بطحاء بين جبلين...**"[125].

ولعل من أهم الشواهد قوله في وصف النيل:" **ذلك نهر النيل، وهو النهر الأعظم الذي لايعدله في عظيم نفعه شيء: لعظم ما عليه من البلد وطوله في الأمم، وهو ينصب من جبل القمر، وقد قدمنا عند ذكر الجبال طرفاً فيه، وإن كان لا مقال يوفيه، لأنه إحدى الكبر، وأولى العبر، آية من آيات الله في أرضه، وعجيبة لمن تأمل من خلقه، ساقه الله تعالى إلى مصر، وأحيا بها بلداً ميتاً،**

[123] – العمري: مسالك الأبصار،ج1، ص146.

[124] – العمري: مسالك الأبصار، ج2، ص80.

[125] – العمري: مسالك الأبصار،ج1، ص193.

وسقاه أمة عظمى، وإن لم تكن هي المتفردة بنفعه، فإنها كالمتفردة به، وذلك تقدير العزيز العليم "[126].

3- براعته في اختيار المصدر المناسب لموضوع الوصف:

ويمكن الاستدلال على هذه المهارة على سبيل المثال في وصف المسجد الأقصى، ومصدر هذه المادة، وصاحبها الذي عاينها بالذراع بقوله:" **ولنذكر الأن ما يتعلق بصفة المسجد الأقصى، وما اشتمل عليه من المزارات، على ما استقر عليه بناؤه إلى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة، وقد ألف في ذلك الصاحب تاج الدين أبو الفضل أحمد بن أمين الملك تأليفاً صغيراً أسماه: سلسلة العسجد في صفة الصخرة والمسجد، نقلت منه ما يليق بهذا الموضع، معتمداً في ذلك على ماحرره بالذراع"**[127].

وكذلك فقد أحسن العمري في وصف المسجد الاموي في دمشق، بالاعتماد على ابن عساكر الدمشقي في كتابه" تاريخ دمشق"[128]. وغيرهما.

4- دقة الملاحظة عبر معاينته المباشرة لمادة الوصف:

لقد شكلت مشاهدات العمري العينية والمباشرة عنصراً مهماً في إكساب المنهج الوصفي المصداقية والدقة، ومن ذلك توثيقه لحادثة إكساء الكعبة المشرفة بنفسه، واصفاً الحادثة بقوله:" **ولما حججت سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، صعدت أنا وأمراء الركب المصري لتلبيس الكعبة الشريفة، حتى كنا على سطحها، فرأيته مبلط بالمرمر والرخام الأبيض، ومن جوانبه جدر قصار فيها حلق لمرابط السور، تجر فيها الكسوة بحبال ثم تربط في تلك الحلق، وأنا أحمد الله، إذ بيدي توليت خلع الكسوة العتيقة عنها وتلبيس الكسوة الجديدة، وحملت الكسوة العتيقة في تلك السنة إلى السلطان بمصر"**[129].

---

[126] – العمري: مسالك الأبصار،ج1، ص201.

[127] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص212.

[128] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص239.

[129] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص183.

ومن ذلك قيامه بوصف الأهرامات المصرية من خلال المعاينة المباشرة، حيث قال:" **ومن ذلك الأهرام بمصر، وأجلها الهرمان بجيزة مصر، ولقد أصعدت غير مرة، وماراً على الأهرام بلاد الجيزة، ورأيت منها ما دثر بعضه، وما دثر كله...**"[130].

وأيضاً وصف معالم وأنشطة الموكب السلطاني[131]، ووصف العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل بين العلماء[132]، ووصف نتاج العلماء[133]، ووصف مظاهر حضارية تتعلق ببعض الممالك[134]، ووصف الوضع الاقتصادي خلال فترة معينة[135]، وغيرها.

د- المنهج التحليلي:

اعتمد العمري المنهج التحليلي في كل مراحل الكتاب تقريباً، وكان تركيزه أكبر في ذلك في تحليل الظواهر الطبيعية، وتفسيرها علمياً، ومن ذلك عندما تناول قضية كروية الأرض، وهي من أعقد القضايا التي واجهت الفلاسفة وعلماء الدين والفلك، وكتب:" **الذي نبدأ به، ...، ما قام عليه البرهان، وهو أن العالم كري**"، وتابع ذلك محللاً، وذلك بالانتقال من المسوس إلى المجرد، ومن الجزء إلى الكل، فقال:" **ويدل على ذلك المشاهدة بالعيان، لمن رأى الشمس من مطلعها إلى مغيبها،**

---

[130] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص286.

[131] –وصف يوم قضاه مع السلطان الناصر، العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص397.

[132] – العمري: مسالك الأبصار، ج7، ص68.

[133] – ومنها وصف كتاب" نهاية الأدب في لغة العرب" لجمال الدين ابن المكرم، العمري: مسالك الأبصار، ج7، ص67.

[134] – كزّي ملك اليمن وجنده، العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص19.

[135] – كوصف غنى سلطان مالي موسى بن أبي بكر، وتحسن الحالة الاقتصادية في مصر بين عامي(724–726هـ/ 1324–1336م) حين زار هذا السلطان مصر وهو في طريقه للحج، وتقديمه للسلطان المصري أربعين ألف دينار، وبعض الحلي والخلع، العمري: مسالك الأبصار، ج7، ص345.

وكذلك النجوم من مشارقها إلى مغاربها، لأنها تطلع حتى تتوسط السماء تقريباً، ثم تنحط حتى تغيب عن العين كذلك، فتقطع نصف دائرة"[136] ، ومن ثم ينتقل إلى النتيجة من خلال التحليل العلمي القائم على الاستقراء والملاحظة، فيقول:" **فعلم بالضرورة أنها تقطع في الغيبوبة عن العين نصف دائرة، نظير ما قطعت في الظهور ليكمل تمام الدائرة**"[137]. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك.

هـ – المنهج الجدلي:

هذا المنهج يستخدم الحوار عادة لإثبات وجهات النظر، بالاعتماد على المنطق المدعم بالحجة والبرهان، ولقد يكون الحوار ذاتياً، كأن يقوم الكاتب بإجراء حوار داخلي بشأن قضية معينة ذات بعدين مختلفين، أحد هذين البعدين يشكل وجهة نظر هذا الكاتب، والبعد الثاني يمثل وجهة النظر المقابلة، ومن ثم يتدرج الكاتب بهذا الحوار، بعرض النقاط الخلافية، نقطة، نقطة، ومن ثم يقوم بتفنيد كلاً منها على حدى، إلى أن يصل إلى القانون، أو القاعدة النهائية، ولعل أهم المواضع التي تثبت اتباع العمري لهذا المنهج، ما أورده في الإنصاف بين المشرق والمغرب، إذ تبنى النظرية التي تقول بتفوق المشرق على المغرب، فيما يتعلق بجميع المكونات على هذه الأرض، بدءاً من الإنسان.

وفي الجهة المقابلة فإن الأفكار التي تبناها المؤرخ ابن سعيد المغربي[138] شكلت السند الداعم للنظرية التي تقول بتفوق المغرب على المشرق،.

111– العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص121.

[137] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص121.

[138] – علي بن موسى العنسي، ولد في قلعة يحصب بالأندلس، وهو مؤرخ وشاعر وعالم بالأدب، زار مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل بدمشق سنة 685هـ/1286م، ومن أشهر مؤلفاته:" الغصون اليافعة في محاسن شعراء المائة السابعة، الزركلي: الأعلام، ج8، ص67.

ولم يدخر العمري جهداً في تقديم الحجة تلو الحجة، والبرهان تلو البرهان لإثبات صحة النظرية التي تبناها[139].

و- المنهج النقدي:

شكل الحس النقدي بالنسبة للعمري علامة فارقة في الكثير من القضايا، ومن ذلك رفضه للتشبيهات التي تشبه الأرض شكلاً، ومضموناً بالبطيخة، وجاء رفضه لهذه المقولة عبر عدة مراحل قبل أن يصرح بذلك، من خلال معالجة القضية بشكل علمي، فحلل، واطلع على أراء العلماء، ولخص النتائج التي توصل إليها، فقال:" **والذي تلخص في أقوال أهل العلم والنظر في الهيئة: أن العالم كرة، والأرض مركزها، والماء والمحيط بها لا يفارقها، إلا ما انكشف، فالأرض في جوف الماء، والماء في جوف الهواء، والهواء في جوف الفلك، كالمحة في جوف البيضة في القشر**".

وبعد ذلك تابع مناقشة القضية، إلى أن قال، مبيناً انتقاده لهذه المقولة في ختامها:" **وقد شبه بعضهم العالم فقال: بطيخة في بركة ماء، فالبزر المدن، وبيوت البزر العمران، واللحاء مجموع الأرض، والماء البحر المحيط، ومقعر البركة الهواء، ودائرها الخارج الفلك، قلت: وهذا التشبيه ليس بشيء**"[140].

أما بالنسبة لمهارة العمري النقدية فيما يتعلق بالنصوص الأدبية، فقد كان العمري أستاذاً في هذا الجانب، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

ز- الجمع بين الوصف والتحليل والنقد والمقارنة:

جمع العمري في كثير من المواضع بين التحليل والنقد والمقارنة، ومن ذلك، توضيحه المقصود بالمسجد الحرام، فقد قام لإقرار الحقائق المتعلقة بهذه القضية، إلى تحليل المطروح في القضية إلى ثلاثة أقوال، ومن ثم المقارنة بينها، وإقرار الحكم بخصوص كل مقولة: والأولى منها، أن القصد بالمسجد الحرام، عين الكعبة

[139] - العمري: مسالك الأبصار، ج5، ص13-32.

[140] - العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص121.

المشرفة، ذاكراً الدليل، وهو قوله تعالى:(فول وجهك شطر المسجد الحرام)[141]، والحجة هنا تقوم على الأخذ بحقيقة اللفظ، مدعماً بأدلة أخرى من القرآن والسنة الشريفة، والقول الثاني: وفيه يقصد بالمسجد الحرام المحيط بالكعبة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، والحجة هنا تقوم على تغليب المعنى المجازي، مدعماً ذلك بتفاصيل أخرى، والقول الثالث: ويقصد فيه مكة بأكملها، محجاً بقول من قال أن النبي ص كان نائماً في بيت أم هانئ لما أسري به، وبقوله تعالى:(ذلك لمن لم يكن أهله حاضر المسجد الحرام)[142].

ومن ثم ختم بقوله:" **وهذا كله على وجه التقريب المجازي، ولا ريب فيه، وإلا يلزم الاشتراك في موضوع المسجد الحرام، والمجاز أولى منه، والله أعلم**"[143].

وكذلك بالنسبة لقيامه بدحض المقولة التي أوردها الإدريسي أن صخرة سيدنا موسى عليه السلام تقع في شروان[144]، فقدم لمناقشة القضية بقوله:" **وقد تقدم القول على أن يقال: إن الصخرة موسى بسبتة**"[145].

ثم بدأ بتحليل الأقوال، وقارن، ووضع فرضيات، التي تتمثل إحداها بتبني المقولة السابقة، وتتمثل الأخرى بتبني المقولة التي تنسب الصخرة إلى موسى

---

[141] – القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 149.

[142] – القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية، 196.

[143] – العمري: مسالك الأبصار، ج1، ص188.

[144] – شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، بناها أنو شروان فسميت بإسمه ثم خففت بإسقاط شطر من اسمه، وبين شروان وباب الأبواب مائة فرسخ، ويقولون بالقرب منها صخرة موسى عليه السلام، الإدريسي : نزهة المشتاق، ج2، ص828؛ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص339.

[145] – العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص105.

بن نصير أمير الأندلس[146]، ومن ثم وضع نظريته القائمة على الظن، فقال:" والذي يغلب على الظن والله أعلم، أن اجتماع موسى بالخضر عليه السلام إنما كان بجهة الغرب، وصخرة سبتة أمس بالنسبة لموسى من هذه الصخرة"، وناقش بعد ذلك الآيات الكريمات من سورة الكهف التي تتحدث عن هذه المسألة، إلى أن رجح أن مجمع البحرين إنما هو التقاء البحر الشامي مع البحر المحيط، أي المتوسط مع الأطلسي، وقدم دليلاً قوي به، وهو وجود سمك موسى في منطقة سبتة المغربية يسمى بسمك موسى، وقارب بين تلك التسمية وحوت موسى عليه السلام، بينما نفى أي مقاربة لموسى بن نصير في هذا الجانب، وهو في نفس الوقت أبدى مرونة المتبصر، فلم يستبعد أن يكون المكان المقصود عند التقاء البحر الشامي مع بحر القلزم، فقال:" **إن هذه التسمية صالحة لكل من المكانين، ففي مجمه البحر الشامي والمحيط بخروج الشامي منه، وفيما بين البحر الشامي والقلزم لقرب أحدهما من الأخر والله أعلم"[147].**

وهناك شواهد أخرى، وهذا النموذج من المنهجية التي اشتمل على الوصف، والتحليل، والنقد، والمقارنة، يعد من أهم الشواهد التي تغني عن كل زيادة.

- **خاتمة:**

توصلت البحث إلى الاستنتاجات التالية:

-تم توضيح دور العصر الذي عاش فيه العمري والبيئة المحيطة: الأسرة والاجتماعية والمهنية والعلمية في دعم النبوغ الفكري له، ووصوله إلى ما وصل إليه علمياً ومهنياً.

-كان هناك تميز لأسرة العمري من خلال تتبع سيرة بعض النماذج من أفرادها.

---

[146] – والي إفريقية لأمير مصر عبد العزيز بن مروان، وفاتح الأندلس، توفي سنة 97ه/725م، ابن عساكر، علي بن الحسن ت.571ه/1175م: تاريخ دمشق، تح: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج61، ص211.؛ الذهبي، محمد بن أحمد ت.748ه/1347م: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وبشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج4، ص496.

[147] – العمري: مسالك الأبصار، ج4، ص105.

-تم تعليل أسباب اقتصار رحلات العمري على الدولة المصرية في العصر المملوكي، والممتدة على بلاد الشام ومصر والحجاز.

-كشف البحث عن المرتكزات المنجية الأساسية التي استند عليها العمري في إعداد الموسوعة، والتي تتمثل ب:التحضير لكتابة الموسوعة من خلال تحديد أسباب التأليف، واختيار الموضوع، والعنوان، وخطة البحث، والاعتناء بالجانب التوثيقي أكان بتوثيق الكتاب بنسبته إلى نفسه، أم بتوثيق مادة الكتاب العلمية، وتحديد الأطر الزمنية والجغرافية للموسوعة.

- برهن البحث على أهمية منهجية العمري القائمة على الشمولية والاختصار في إنجاز هذه الموسوعة، وذلك من خلال: نجاحه في تحديد نقطتي البداية والنهاية في تدوين وترتيب المادة العلمية، ومقدرته على تصنيفها وتنسيقها، وتوظيف المعلومة في مكانها المناسب، والنقل باختصار، وتصرف، وانتقائية، بما لا يخل بالشمولية، والاكتفاء بالمفيد، وتوظيف المقدمات والخواتيم لتنظيم هذه المادة وإدارتها، وكذلك توظيف الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأبيات الشعرية، والعجائب والطرائف، والعبر، والتصاوير ولوح الرسم، والخرائط الذهنية.

- بين البحث المناهج العلمية التي اعتمد عليها العمري في الكتابة والبحث، والتي تتمثل ب: المنهج النقلي، والنقدي، والمنهج السردي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، والمنهج الجدلي، وقدرته على الجمع بين المناهج، مما سهل عليه التعامل مع ضخامة الموسوعة.

-وضح البحث أهمية الاعتماد على المشاهدة في تدوين المادة العلمية، وذلك من خلال مشاركة العمري الرسمية وغير الرسمية، ومعاينته المباشرة لما يجري من حوله، وشهاداته المعاصرة و التي توثق لحالات راهنة، أو أمور مرت به، أو بمن يعرفهم.

مع التمني أن يكون هذا المقال ذو فائدة علمية للمهتمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً: المصادر

1- الإدريسي، محمد بن محمد ت.560هـ/1164م: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

2- البخاري: محمد بن إسماعيل ت.256هـ/869م: الجامع المسن الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه أو صحيح البخاري، تح: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1983م.

3- ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي ت. 874هـ/1469م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963م.

4- الحموي، ياقوت بن عبد الله ت. 626هـ/1228م: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

5- ابن حنبل، أحمد بن محمد ت. 241هـ/856م: مسند أحمد بن حنبل أو المسند، دار صادر، بيروت، 1900م.

6- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط وبشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

7- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: المعجم المختص بالمحدثين، تح:

محمد حبيب الهيلة،ط1، مكتبة الصديق، الطائف، 1988م.

8- الذهبي، محمد بن أحمد ت.748هـ/1347م: العبر في أخبار من عبر، تح: محمد رشاد عبد المطلب، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1986م.

9- السبكي، عبد الوهاب بن علي ت.771هـ/ 1369م: طبقات الشافعية الكبرى، تح: عبد الفتاح الحلو، محمود الطناجي،ط2، دار هجر، القاهرة، 1992م.

10- الصفدي، خليل بن أيبك ت. 764هـ/1362م: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م.

11- الثعالبي، عبد الملك بن محمد ت.350هـ/961م: فقه اللغة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1885م.

12- ابن عساكر، علي بن الحسن ت.571هـ/1175م: تاريخ دمشق، تح: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، 1995م.

13- العسقلاني، أحمد بن علي ت. 852هـ/ 1448م: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: سالم الكرنكوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980م.

14- ابن العماد، عبد الحي بن أحمد ت. 1089هـ/ 1668م: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1986م.

15-العمري، أحمد بن يحي ت.749هـ/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

16-العمري، أحمد بن يحي ت. 749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- القسم الخاص باليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، ط1، دار الاعتصام، القاهرة، 1974م.

17- العمري، أحمد بن يحي ت. 749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار- ممالك مصر والشام والحجاز واليمن-، تح: أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1985.

18- العمري، أحمد بن يحي ت.749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: عبد الله الشريحي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2003م.

19- العمري، أحمد بن يحي ت.749ه/1349م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

20- أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت.732ه/1331م: المختصر في أخبار البشر، تح: محمود ديوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

21- ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد ت.851ه/1447م: طبقات الشافعية، تح: عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987م.

22- القزويني، زكريا بن محمد ت.682ه/1283م: آثار البلاد وأخبار العباد، ط3، دار صادر، بيروت، 2011م.

23- القلقشندي، أحمد بن علي ت.821ه/1418م: صبح الأعشى، تح: محمود

شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

24- الكتبي، محمد بن شاكر ت. : الوافي بالوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1974م.

25-ابن كثير، اسماعيل بن عمر ت. 774هـ/ 1372م: البداية والنهاية، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة،1997م.

26- المقريزي، أحمد بن علي ت. 845هـ/1414م: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- الخطط المقريزية -، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

27- النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ/1334م: نهاية الأرب في نهاية الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

28- ابن الوردي، عمر بن مظفر ت. 749هـ/1348م : تتمة المختصر في تاريخ البشر(تاريخ ابن الوردي)، تح: أحمد البداوي، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

ثانياً: المراجع

1- إبراهيم، عبد الله: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001م.

2- البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثارهم من كشف الظنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1951م.

3- حلاق، صباغ؛ حسان، عباس: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

4- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

5- زكار، سهيل: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر، دمشق، 1995م.

6- عيسى، إيلين زغيب وأخرون: موسوعة لبنان، مركز التراث اللبناني في الجامعة اللبنانية الأمريكية، بيروت، 1998م.

7-المنجد، صلاح الدين: وصف دمشق في مسالك الأبصار، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج3، ج1، دمشق، 1957م.

8- المنجد، صلاح الدين: مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1967م.

9- اللعيبي، شاكر: حسين بن علي المطري العزاوي، رسام عربي مجهول، دار الخطوط وظلال لنشر والتوزيع، عمان، 2021م.

10- النهار، عمار: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، قطعة خاصة بالدولة العباسية، أطروحة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، 2002م.